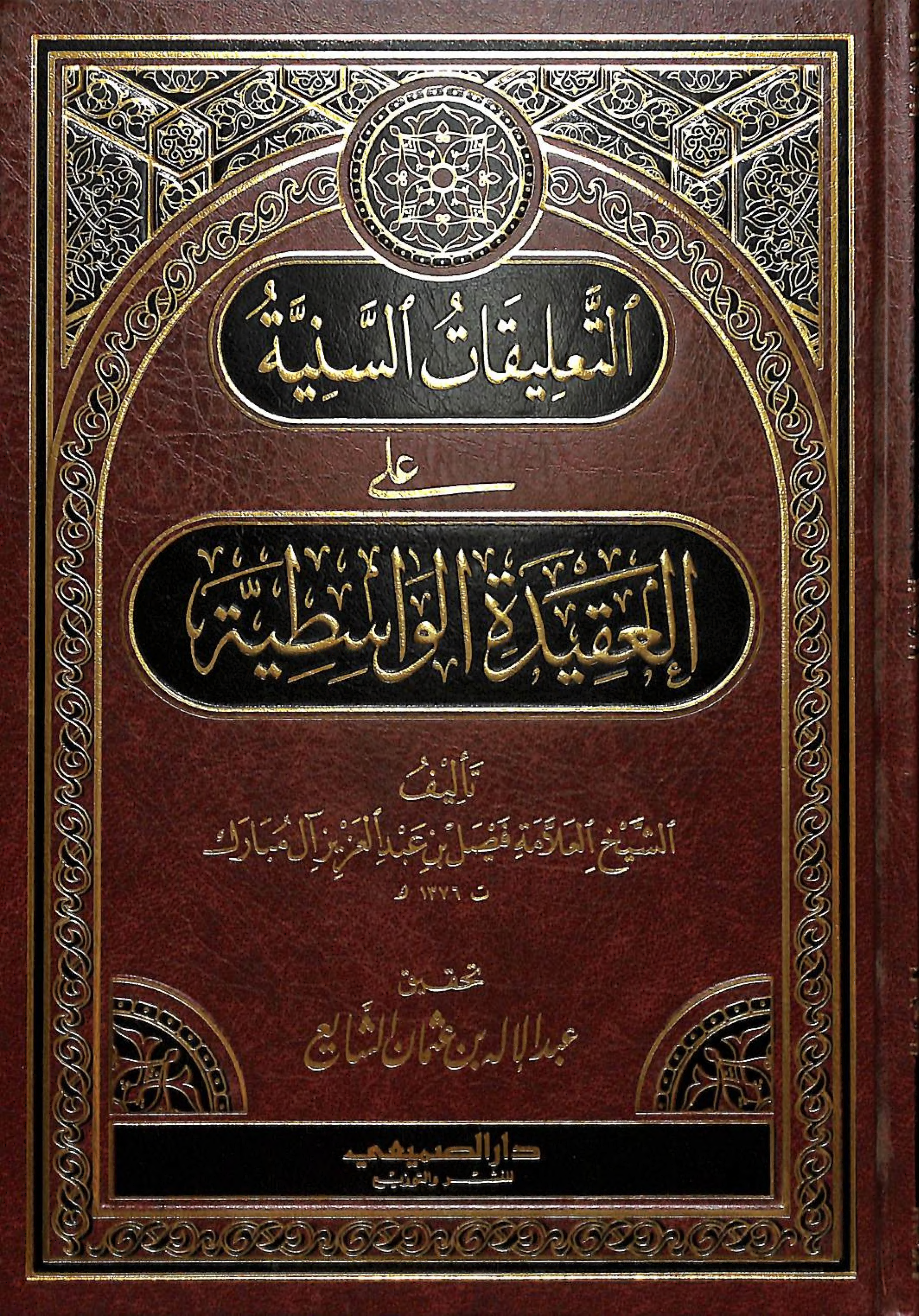


التعليقات السنية
على
العقيدة الواسطية
تأليف
الشيخ العلامة فيصل بن عبد العزيز آل مبارك
ت ١٣٧٦ هـ
تحقيق
عبد الإله بن عثمان الشايع
دار الصميعي
للنشر والتوزيع



تأليف

الشيخ العلامة فيصل بن عبد العزيز آل مبارك

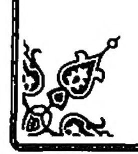
ت ١٣٧٦ هـ

تحقيق

عبد الإله بن عثمان الشايع

دار الصميعي

للنشر والتوزيع








ح فيصل بن عبدالعزيز المبارك ، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المبارك ، فيصل بن عبدالعزيز
التعليقات السنية على العقيدة الواسطية. / فيصل بن عبدالعزيز المبارك ؛ عبدالإله بن عثمان الشايع .- الرياض ، ١٤٢٦هـ
١٣٤ ص ؛ ٢٤ سم

ردمك: ٨-٥٢-٠٠٥٢-٩٩٦٠

١- العقيدة الاسلامية ٢- التوحيد أ.الشايع ، عبدالإله بن عثمان (محقق) ب.العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٦/٧٧٤٨

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٧٧٤٨
ردمك: ٨-٥٢-٠٠٥٢-٩٩٦٠

الطبعة الثانية

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ ـ ٤٢٥١٤٥٩ فاكس ٤٢٤٥٣٤١
المركز الرئيس : الرياض ـ شارع السويدي العام
ص.ب ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
المملكة العربية السعودية
فرع القصيم : عنيزة ، أمام جامع الشيخ (بن عثيمين) يرحمه الله
هاتف ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس ٣٦٢١٧٢٨





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد :

فقد كان من طريقة العلماء في تقرير العقيدة الصحيحة تأليف متن جامع يُعنى ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، فربما ألف أحدُهم كتاباً يجمع بين أنواع التوحيد ، وربما اقتصر على نوع واحد من أنواعه .

وقد كان لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨) – رحمه الله – جهوداً جبارة في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة والذب عنها والتصدي للفرق التي انحرفت عن عقيدة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .

ومن مؤلفاته العظيمة التي سارت بها الركبان وحفظها الطلاب والعلماء ودرسها أهل العلم « العقيدة الواسطية » ، التي قرر فيها أنواع التوحيد وبخاصة توحيد الأسماء والصفات الذي ضلَّ فيه الكثير من الفرق والطوائف المنتسبة للإسلام ، فقررها أحسن تقرير ، وحرَّرها أجمل تحرير .

وقد كان من أوائل من تصدى للتعليق على هذه العقيدة العلامة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك (ت ١٣٧٦) ـ رحمه الله ـ ، فجاءت تعليقاته قليلة في ألفاظها ، نفيسة في معناها ، اعتمد في غالبها على كتب التفاسير المعتمدة من أمثال : « تفسير الطبري » ، و « تفسير ابن عطية » ، و«تفسير ابن كثير » ، و « تفسير البغوي » ، وغيرها من المصادر المعتبرة .

وقد رأيت أنه من المناسب الاعتناء بنشر هذه التعليقات ، لما في ذلك من تقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة ونشرها ، مع عزو النقول إلى مصادرها والتعليق على بعض المواطن القليلة مع العناية بالنص المخطوط ، وعزو الآيات القرآنية والأحاديث النبوية دون إطالة ، لأن من أهم ما يجب على من يتصدى لنشر الكتب أن يعنى بسلامة نص الكتاب وإخراجه في أقرب صورة لما كان عليه الأصل المخطوط كما أراد مؤلفه .

*** ثناء العلماء على « العقيدة الواسطية »[1] :**

أثنى على « العقيدة الواسطية » طائفة من العلماء منهم : الإمام الذهبي (ت ٧٤٨) ، وابن رجب (ت ٧٩٥) ، والشيخ محمد خليل هراس (ت ١٣٩٥) ـ رحم الله الجميع ـ ، حيث قال الشيخ هراس : « العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – من أجمع ما كتب في عقيدة أهل السنة والجماعة مع اختصار في اللفظة ودقة في العبارة » .

وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في فتاويها (٢/ ١٦٥): «أما كتاب العقيدة الواسطية فهو كتاب جليل مشتمل على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة بالأدلة من الكتاب والسنة ، فنوصيك باعتقاد ما فيه والدعوة إلى ذلك » .

كما أثنى عليها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (ت ١٤٢٠) – رحمه الله – في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٧/ ١٧٩) .

وقال الشيخ محمد العثيمين (ت ١٤٢١) – رحمه الله – في كتاب العلم

---

(١) انظر : كتب أثنى عليها العلماء – المجموعة الأولى : كتب العقيدة – (ص/ ١٠٦- ١٠٧).

(ص/ ١٧١) : « من أحسن ما يكون في العقيدة كتاب « العقيدة الواسطية » لشيخ الإسلام ابن تيمية ، فهو زبدة مختصرة في عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهي تحتاج إلى شرح ، ويحتاج المبتدىء إلى من يشرحها له » .

*** شروح « العقيدة الواسطية »[1] :**

اعتنى العلماء وطلاب العلم بالعقيدة الواسطية شرحاً وتعليقاً وتحشية مما يدل على أهميتها ، ومن هذه الشروح :

١- **التعليقات السنية على العقيدة الواسطية**[2] للشيخ فيصل آل مبارك (ت ١٣٧٦) ـ رحمه الله ـ وهو أول تعليق على الواسطية ، وهو كتابنا هذا .

٢- **التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة** للعلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي (ت ١٣٧٦) ـ رحمه الله ـ ولسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (ت ١٤٢٠) ـ رحمه الله ـ تعليقات عليه .

٣- **تعليقات على الواسطية** للشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع (ت ١٣٨٥) ـ رحمه الله ـ .

٤- **الثمار الشهية في شرح الواسطية** للشيخ محمد خليل هراس (ت ١٣٩٥) ـ رحمه الله ـ .

٥- **الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية** للشيخ زيد بن عبدالعزيز بن فياض (ت ١٤٠٦) – رحمه الله – وهو أول شرح يطبع للعقيدة الواسطية .

٦- **الأجوبة المفيدة على أسئلة العقيدة** للشيخ عبدالرحمن بن حمد الجطيلي (ت ١٤٠٤) ـ رحمه الله ـ .

---

(١) انظر : كتب أثنى عليها العلماء (ص/ ١٠٧-١١٠) .

(٢) سماه بهذا الاسم سبطُ المؤلف الشيخ محمد بن حسن آل مبارك .

٧- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية للشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد (ت ١٤٠٨) – رحمه الله – .

٨- الأسئلة النجدية على العقيـدة الواسطية للشيخ محمد بن علي الروق (ت ١٤٢٠) .

٩- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١) – رحمه الله – .

١٠- الأسئلة والأجوبة الأصوليـة على العقيـدة الواسطية للشيخ عبدالعزيز المحمد السلمان (ت ١٤٢٢) ـ رحمه الله ـ .

١١- ولـه أيضاً : مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، اختصر فيه الكتاب السابق .

١٢- وله أيضاً : الكواشف الجلية عن معاني الواسطية وهو شرح مطول .

١٣- الأعلام المرفوعـة والتحف المدفوعة للشيـخ إبراهيـم بن عبيـد آل عبدالمحسن.

١٤- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ صالح بن فوزان الفوزان .

١٥- التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين .

١٦- المنحة الإلهية في شرح العقيدة الواسطية للشيخ عبدالرحمن بن مصطفى الغرابي .

١٧- التعليقات المفيدة على العقيدة الواسطية تعليق وتخريج عبدالله بن عبدالرحمن الشريف .

١٨- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ سعيد بن علي القحطاني .

١٩- شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية جمعه ورتبه الشيخ خالد بن عبدالله المصلح .

٢٠- شرح العقيدة الواسطية لأبي عبدالله خالد بن عبدالله الأنصاري .

٢١- شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ـ قيد الطبع ـ عن دار المنهاج بالرياض .

وأخيراً أسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر للشيخ فيصل آل مبارك على ما قدم ، وأن يحشرنا معه ووالدينا وجميع المسلمين في جنات النعيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه

عبدالإله بن عثمان الشايع

١٤٢٦/٤/٢٩

ص.ب ٣٨٢٠٥٣ الرياض ١١٣٤٥

ترجمة المؤلف

هو الشيخ فيصل بن عبدالعزيز بن فيصل بن حمد المبارك المحدث الفقيه الأصولي المفسر النحوي الفرضي ، العالم العامل الزاهد الورع ، ولد رحمه الله في حريملاء عام ١٣١٣هـ ، وطلب العلم على علماء حريملاء في وقته، ومنهم جدّه لأُمّه الشيخ العالم ناصر بن محمد الراشد ، وعمّه العلاّمة الشيخ محمد بن فيصل المبارك .

ثمَّ طلب العلم على علماء الرياض فأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف مفتي الديار النجدية ، والعلاّمة سعد بن حمد بن عتيق محدّث الديار النجدية ، وأجازه الشيخ سعد في التفسير ، وكذلك أجازه في تدريس أمهات كتب الحديث ومذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ ، وأجازه الشيخ عبدالله العنقري بجميع مروياته ، وأجازه الشيخ عبدالعزيز النمر إجازة الفتوى عام ١٣٣٣هـ ، وهو في العشرين من عمره ، وأخذ علم النحو عن العلاّمة الشيخ حمد بن فارس ، وعلم الفرائض عن العلاّمة الشيخ عبدالله بن راشد الجلعود ، وغيرهم من أفذاذ العلماء رحمهم الله أجمعين .

*** جهود الشيخ ـ رحمه الله ـ في نشر العقيدة الصحيحة :**

كان الشيخ رحمه الله يهتم بتقرير العقيدة السلفية الصحيحة لطلبة العلم، فكان طلبة العلم يبتدئون القراءة عليه في علوم العقيدة بـ « الأصول الثلاثة» ، ثم « كشف الشبهات » ، ثم « كتاب التوحيد » وجميعها لشيخ

الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ ، ثم يقرؤون بعد ذلك «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ، وغيرها من كتب العقيدة المهمة ، وقد أوصى الشيخ فيصل ـ رحمه الله ـ في وصيته لطلبة العلم بالابتداء بهذه الكتب التي تقدم ذكرها [1] .

*** جهود الشيخ ـ رحمه الله ـ في التأليف :**

ترك الشيخ ـ رحمه الله ـ العديد من المؤلفات في جميع العلوم الشرعية تصل إلى ثلاثين مؤلفاً هي :

١- (أقوال العلماء الأعلام على أحاديث عمدة الأحكام) مخطوط في مجلدين ضخمين ـ في سبعة ملازم ـ بدارة الملك عبدالعزيز / مكتبة الشيخ عبدالمحسن أبابطين ، وهو مختصر عن شرح الشيخ الكبير على عمدة الأحكام ، وسيأتي ذكره .

ومنه أيضاً نسخة أخرى وصل فيها المؤلف إلى منتصف الجزء الأول، وهي بدارة الملك عبدالعزيز / مكتبة الشيخ عبدالمحسن أبا بطين .

٢- (بستان الأحبار[2] باختصار نيل الأوطار) للشوكاني ، في مجلدين ، وقد طبع مرتين ، أولاهما في حياة الشيخ عام ١٣٧٤هـ ، وآخرهما عن دار إشبيليا عام ١٤١٩هـ .

---

(١) انظر : « نصيحة جامعة ووصية نافعة » للشيخ فيصل المبارك (ص٧٥-٧٨) ، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الزير .

(٢) أحبار ـ بالحاء المهملة ـ : جمع حَبْر وهو العَالِم ، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هو حبر هذه الأمة أي : عالمها .

٣- (تجارة المؤمنين في المرابحة مع رب العالمين) مجلد في ٢٧١ صفحة، طبع مرتين بدمشق أولاهما على نفقة الأمير عبدالرحمن السديري عام ١٣٧٢هـ ، وآخرهما على نفقة تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن عطا الشايع عام ١٤٠٤هـ والطبعة الأولى هي الأتقن .

٤- (تطريز رياض الصالحين)، وقد طبع الكتاب مؤخراً في عام ١٤٢٣هـ عن دار العاصمة ، بتحقيق الشيخ الدكتور عبدالعزيز الزير .

٥- (التعليقات السَّنية على العقيدة الواسطية) وهو كتابنا هذا .

٦- (توفيق الرحمن في دروس القرآن) في أربعة أجزاء ، وقد طُبع مرتين، أولاهما : عام ١٣٧٦هـ ، وآخرهما عام ١٤١٦هـ عن دار العاصمة بالرياض ، بعناية الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الزير في أربعة مجلدات .

٧- (تعليم الأحبّ أحاديث النووي وابن رجب) وقد طبع قديماً ضمن (المختصرات النافعة) .

٨- (الحجج القاطعة في المواريث الواقعة) .

وهذه الرسالة قد طُبعت ثلاث مرات ـ تحت اسم (الدلائل القاطعة) ـ ضمن مجموع (المختصرات النافعة) ، وقد انتهى الشيخ محمد بن حسن المبارك من تحقيقه على نسخة خطية ، وقد طُبع مؤخراً .

٩- (خلاصة الكلام شرح عمدة الأحكام) ، مجلد في أربعمائة صفحة ، وهو اختصار لشرحيه على العمدة الكبير والمتوسط ، وقد طبع أربع طبعات :

- أولها عام ١٣٨٠هـ بمكتبة التوفيق بالرياض .

- وثانيها عام ١٣٨٠هـ في مكتبة البابي الحلبي بمصر ، في ثلاث سنوات متتاليات ، لما كان شرح الشيخ مقرراً على طلبة المعهد العلمي .

- وآخرها عام ١٤١٢هـ بمكتبة الرشد بالرياض .

١٠- (زبدة المراد فهرس مجمع الجواد)[1] مخطوط ، والموجود منه فهرست الجزء الأول من مجمع الجواد في تسع وعشرين ورقة ـ بخط الشيخ إسماعيل البلال أحد تلامذة الشيخ ، وكان المخطوط لديه رحمه الله ـ ، يقول المصنف رحمه الله في آخرها : « تم فهرس الجزء الأول من مجمع الجواد بحمد الله تعالى » .

وعنه مصوَّرة بدارة الملك عبدالعزيز ، مجموعة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك .

١١- (السبيكة الذهبية على متن الرحبية) .

صدرت هذه الرسالة في عام ١٣٧٩هـ عن المكتبة الأهلية ، وقد تم طبعها ـ آنذاك ـ في مصر في مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

- وفي عام ١٤٠٦هـ قامت دار العليان بالقصيم بطباعتها بمطابع السلمان مرة أخرى .

- ثم في عام ١٤١٩هـ قامت دار الأرقم بطباعتها بعناية وتحقيق الأستاذ عبدالله الزاحم ـ أثابه الله ـ .

- كما أن الرسالة قد طُبعت قديماً ضمن مجموعة الرسائل الكمالية .

---

(١) ومجمع الجواد هو حاشية للشيخ على الروض المربع ، وسيأتي الكلام عنه .

وفي الطبعات الأخيرة اعتمد الناشرون على طبعة المكتبة الأهلية . وقد حققه الشيخ محمد بن حسن المبارك [١] .

١٢- (صلة الأحباب شرح ملحة الإعراب) ، وهو ـ فيما يظهر لي ـ مفقود .

١٣- (غذاء القلوب ومفرِّج الكروب) طُبع قديماً ضمن مجموع (المختصرات النافعة) .

١٤- (الغرر النقية شرحُ الدرر البهية) طبع بتحقيق أخينا الشيخ محمد ابن حسن المبارك ـ حفظه الله ـ عن دار إشبيليا بتاريخ ١٤٢٦هـ .

١٥- (القصد السديد شرح كتاب التوحيد) في مجلد ، طبع عام ١٤٢٦هـ عن دار الصميعي بتحقيقي .

١٦- (القول الصائب في حكم بيع اللحم بالتمر الغائب) رسالة وجيزة مخطوطة في مكتبة الملك فهد بدون تصنيف ، وعنه مصوَّرة بدارة الملك عبدالعزيز / مجموعة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك .

١٧- (القول في الكرة الجسيمة الموافق للفطرة السليمة) .

ومنه مخطوطة في مكتبة الملك فهد في مجلد ـ تصنيف رقم (٢٦١/٣) ـ وعنها مصورة بدارة الملك عبدالعزيز / مكتبة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك .

١٨- (كلمات السداد على متن زاد المستقنع) للحجاوي ، وهو شرح

---

(١) وقد جمع أيضاً بين الرسالتين « السبيكة الذهبية » و « الحجج القاطعة » في كتاب واحد ، وطبعا مؤخراً عن دار إشبيليا عام ١٤٢٦هـ .

لطيف في مجلد ، طبع مرتين آخرهما عام ١٤٠٥هـ عن مكتبة النهضة .

١٩- (لباب الإعراب في تيسير علم النحو لعامَّة الطلاب) وهذه الرسالة عبارة عن متن مختصر في عدة أوراق في علم النحو ، وقد حققها الشيخ محمد بن حسن المبارك وطبعت في عام ١٤٢٥هـ .

٢٠- (لذة القارئ مختصر فتح الباري) في ثمانية مجلدات[١] ، ذكر الشيخ عبدالمحسن أبابطين أنه تحت الطبع ، والشيخ عبدالمحسن من أعرف الناس بكتب الشيخ فيصل لأنه طبع أكثرها في مكتبته الأهلية ، وبعضها طُبعت بواسطته في غيرها من المكتبات مثل مكتبة مصطفى البابي بمصر ، وقال الزركلي : شرع بعض الفضلاء بطبعه[٢] . إلا أن هذا الكتاب - وللأسف الشديد - في حكم المفقود .

٢١- (مجمع الجواد[٣] حاشية شرح الزاد) مخطوط ، وهو شرح كبير مطول على الروض المربع ، وذلك أن الشيخ رحمه الله في الشرحين التالين على الروض - كما سيأتي - انتقى مسائل خلافية معينة فشرحها ، أما في هذا المطول فقد وجّه عنايته إلى غالب المسائل الخلافية في الروض .

إلا أن الشيخ رحمه الله لم يكمله ، إذ ابتدأ بتأليفه وقد ألَمَّ به المرض ، ولذلك يقول في كتاب البيوع منه : « لم نكتب من مجمع الجوادّ إلا هذا القليل من كتاب البيع إلى هنا[٤] ، فعسى الله أن ييسر تمامه في حياتنا أو بعد

---

(١) اعتمدت تسمية الشيخ عبدالمحسن أبا بطين للكتاب ، بينما تسميه بعض المصادر المترجمة للشيخ (تذكرة القارئ) .

(٢) الأعلام للزركلي ١٦٨/٥.

(٣) الجوادُّ - بتشديد الدال - : جمع جادَّة ، وهي الطريق الواضح المستقيم .

(٤) الحق أن عبارة الشيخ هذه تشكل بعض الشيء ؛ إذ تشعر بأن الشيخ لم يكتب من =

موتنا ، إنه على كل شيء قدير ، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك »[1] .

إلا أن الشيخ بعد ذلك أحسَّ من نفسه نشاطاً فكتب منه فصولاً ، وتوفي رحمه الله وقد انتهى إلى (باب القرض) .

ولو تم هذا الشرح لكان كتاباً ضخماً جداً ، إذْ أن فهرس الجزء الأول منه بخط مؤلفه يقع في تسع وعشرين صفحة ، أما (كتاب البيوع) منه ـ وهو الجزء الثالث من الشرح ـ فيقع في مجلد كبير ، وهذا القدر من الكتاب هو الموجود منه ، والباقي مفقود .

ومن الجزء الثالث نسخة مخطوطة في مكتبة الملك فهد تحتوي على كتاب البيوع فقط في مجلد، وكذلك في خمسة ملازم صغيرة، تصنيف رقم (٢٦٤/٣) (٢٦٥/٣) (٢٦٦/٣) (٢٦٧/٣) تحت اسم : حاشية على بعض عبارات الزاد وشرحه ، وعنها مصورة بدارة الملك عبدالعزيز / مجموعة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك .

٢٢- (محاسن الدين بشرح الأربعين النووية) طبع ضمن المجموعة الجليلة ، ثم طبع مفرداً عن دار الرشيد عام ١٤١٤هـ ، ثم عن دار إشبيليا

= «مجمع الجواد » إلا من كتاب البيع إلى الموضع الذي توقف عنده ، ولكن الشيخ رحمه الله كتب فوق طُرَّة (كتاب البيع) من الشرح ـ ما يلي ـ : « الجزء الثالث من مجمع الجواد حاشية شرح الزاد » ، مما يدل على أنه كتب الأول والثاني ـ قبل ذلـك ـ ، لا سيما وأن فهرس الجزء الأول من « مجمع الجواد » بين أيدينا ، وهو بخط إسماعيل البلال ـ رحمه الله ـ أحد تلامذة الشيخ ، كما أن الأصل في الشروحات أن يتناول الكاتب المتن مرتباً ، لا سيما وأن هذا هو منهج الشارح ـ رحمه الله ـ في شرحيه السابقين .

(١) مجمع الجواد ، مخطوط ـ ج٣ : كتاب البيع .

بالرياض عام ١٤٢٠هـ .

٢٣- (مختصر الكلام شرح بلوغ المرام) لابن حجر ، طبع ضمن (المجموع الجليلة) ، ثم طبع مفرداً عن المجموعة في الرياض عن دار إشبيليا عام ١٤١٩هـ .

٢٤- (مختصر المرتع المشبع) مخطوط في مجلد ، منه نسخة في مكتبة الملك فهد ، تصنيف رقم (٣/٢٥٠) ، وصل فيه إلى كتاب الجنائز ، وعنها مصورة بدارة الملك عبدالعزيز / مجموع الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك.

٢٥- (المرتع المشبع شرح مواضع من الروض المربع) مخطوط في أربعة أجزاء وستة مجلدات كبيرة .

في مكتبة الملك فهد ، تصنيف رقم (٣/٢٢٣) (٣/٢٢٥) (٣/٢٢٤) ، (٣/٢٢٦) ، وعنها مصورة بدار الملك عبدالعزيز / مجموعة الشيخ فيصل ابن عبدالعزيز المبارك .

٢٦- (مفاتيح العربية على متن الآجرومية) ، وهو شرحٌ ممتع متوسط على متن الآجرومية ، وقد طُبع قديماً ضمن مجموعة الشيخ المسماة (المختصرات الأربع النافعة) ، تحت اسم (مفتاح العربية على متن الآجرومية) .

وقد انتهى الأخ الشيخ عبدالعزيز بن سعد الدغيثر من تحقيق الكتاب ومقابلته على النسخة الخطية المذكورة وهو قيد الطبع عن دار الصميعي بالرياض .

٢٧- (مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد) ، طُبع ضمن (المجموعة الجليلة) ، ثم طبع مفرداً عام ١٤١٣هـ عن دار السلف ، بتحقيق الباحث

الفاضل الشيخ راشد بن عامر الغفيلي .

٢٨- (نصيحة المسلمين) وهي رسالة لطيفة طبعت في مكة المكرمة ، في عام ١٣٥٤هـ تقريباً ، ثم طُبعت في الكويت في أواخر حياة الشيخ تحت اسم : نصيحة دينية ، على نفقة الشيخ عطا الشايع الكريع الجوفي رحمهما الله .

٢٩- (نقعُ الأُوام[1] بشرح أحاديث عمدة الأحكام) ، وهو الشرح الكبير على عمدة الأحكام ، خمسة أجزاء كبار ، في إحدى عشرة مجلدة .

ومنه مخطوطة كاملة ، بخط الشيخ فيصل رحمه الله في مكتبة الملك فهد / تصنيف مكتبة حريملاء ، تحت الأرقام : (٣/٢٢٨) (٣/٢٤٧) (٣/٢٥١) (٣/٢٣١) (٣/٢٥٦) (٣/٢٥٥) (٣/٢٤١) (٣/٢٣٠) (٣/٢٦٠) (٣/٢٣٩) (٣/٢٣٨) .

٣٠- (وصية لطلبة العلم) رسالة لطيفة ، في آخرها كتب الشيخ رحمه الله (وقع الفراغ منه في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٥٤هـ) .

وقد قام بتحقيق هذه الرسالة مع (نصيحة المسلمين)[2] الدكتور عبدالعزيز الزير عام ١٤٢٤هـ .

*** وفاته :**

توفي رحمه الله في منطقة الجوف عام ١٣٧٦هـ عن ثلاثةٍ وستين عاماً

---

(١) للنقع معانٍ عدة ، منها : الرِّيُّ بعد الظمأ ، و « الأُوام » : شدة العطش .

(٢) تحت عنوان « نصيحة نافعة ووصية جامعة » للشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك.

قضاهاً في الجهاد والتعليم والتصنيف[١] .

*** اهمية الكتاب :**

لعل هذا الكتاب ـ كما يظهر لي ـ هو أول تعليق على « العقيدة الواسطية» وهناك شرح للواسطية لعالِمٍ معاصر للشيخ فيصل ومتوفٍ في نفس العام الذي توفي فيه الشيخ فيصل ألا وهو العلامة الشيخ عبدالرحمن ابن ناصر السعدي رحمه الله ، وشرحه هو المعروف بـ « التعليقات المنيفة على ما في الواسطية من المباحث الشريفة » وقد ألّفه الشيخ السعدي عام ١٣٧٢هـ .

إلا أن كتابنا هذا فيما يظهر ألّف قبل عام ١٣٧٢هـ ، إذْ إن الشيخ فيصل رحمه الله وهو المتوفى عام ١٣٧٦ قد اهتم في آخر حياته بـ «الروض المربع » فشرحه في كتابه « المرتع المشبع » في أربعة مجلدات ضخمة وكان تأليفه لهذا الكتاب قبل عام ١٣٧١هـ ، كما يدل على ذلك رسالة من الشيخ عبدالرحمن بن سعدي إلى الشيخ فيصل ـ رحمهما الله ـ بتاريخ الأول من رجب من عام ١٣٧١هـ .

ثم شرحه الشيخ فيصل « المرتع المشبع » بكتابه « مجمع الجواد » وهو

---

(١) انظر في مصادر ترجمة الشيخ فيصل رحمه الله :

«علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبدالله البسام رحمه الله (٥/ ٣٩٢-٤٠٢) ، و«الأعلام» للزركلي (٥/ ١٦٨)، و«مشاهير علماء نجد » للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ (ص٣٩٨)، و«العلامة المحقّق والسلفي المدقق : الشيخ فيصل المبارك » لفيصل ابن عبدالعزيز البديوي ، « المتدارك من تاريخ الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك » للشيخ محمد بن حسن المبارك ، معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية لعلي جواد الطاهر (٢/ ١٠٤٥-١٠٤٩)، ومعجم مصنفات الحنابلة للدكتور عبدالله الطريقي (٧/ ٢٦-٣٢) .

كتاب ضخم وصلنا منه شرح كتاب البيوع في مجلد كبير ، مما يدل على تقدم تأليف الشيخ فيصل لشرح الواسطية ، لا سيما إذا علمنا أن الشيخ فيصل أدرج شرحه على الواسطية في موسوعته المسماة بـ « زبدة الكلام في الأصول والآداب والأحكام » ، وفيه عدة مؤلفات له[١] ، وجلها من أقدم مؤلفاته ، والله أعلم .

*** وصف النسخة الخطية :**

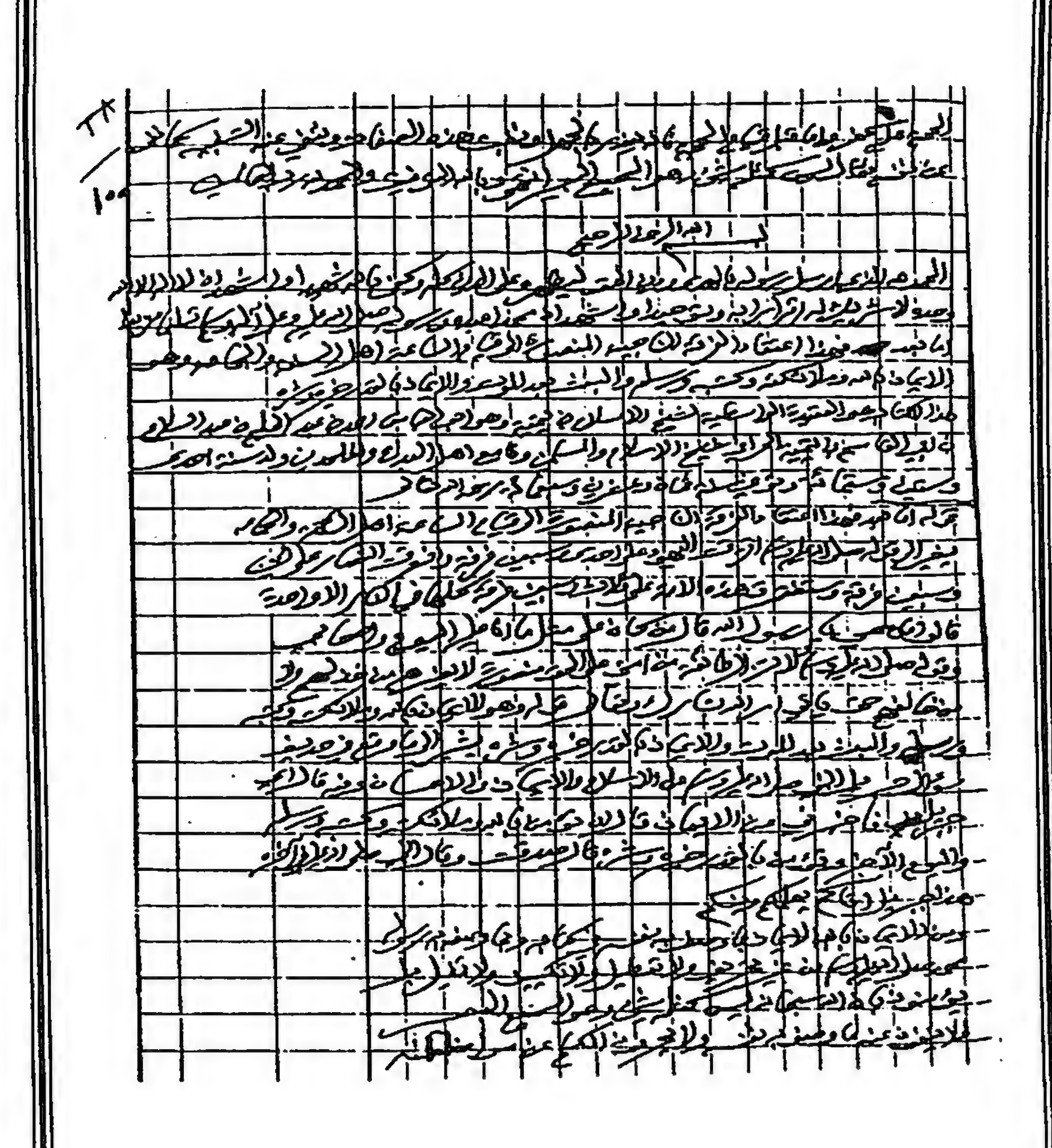
اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخة خطية وحيدة بخط المؤلف ـ رحمه الله ـ وهذه النسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد ضمن مجموع «زبدة الكلام» تصنيف رقم (٣/٢٥٨) (٣/٢٢٩) في ٤٥ ورقة ، كل ورقة متوسط عدد سطورها ٢٦ سطراً تقريباً ، حصلت على هذه المخطوطة بواسطة الشيخ محمد بن حسن المبارك ـ بارك الله فيه ـ[٢] .

* * *

---

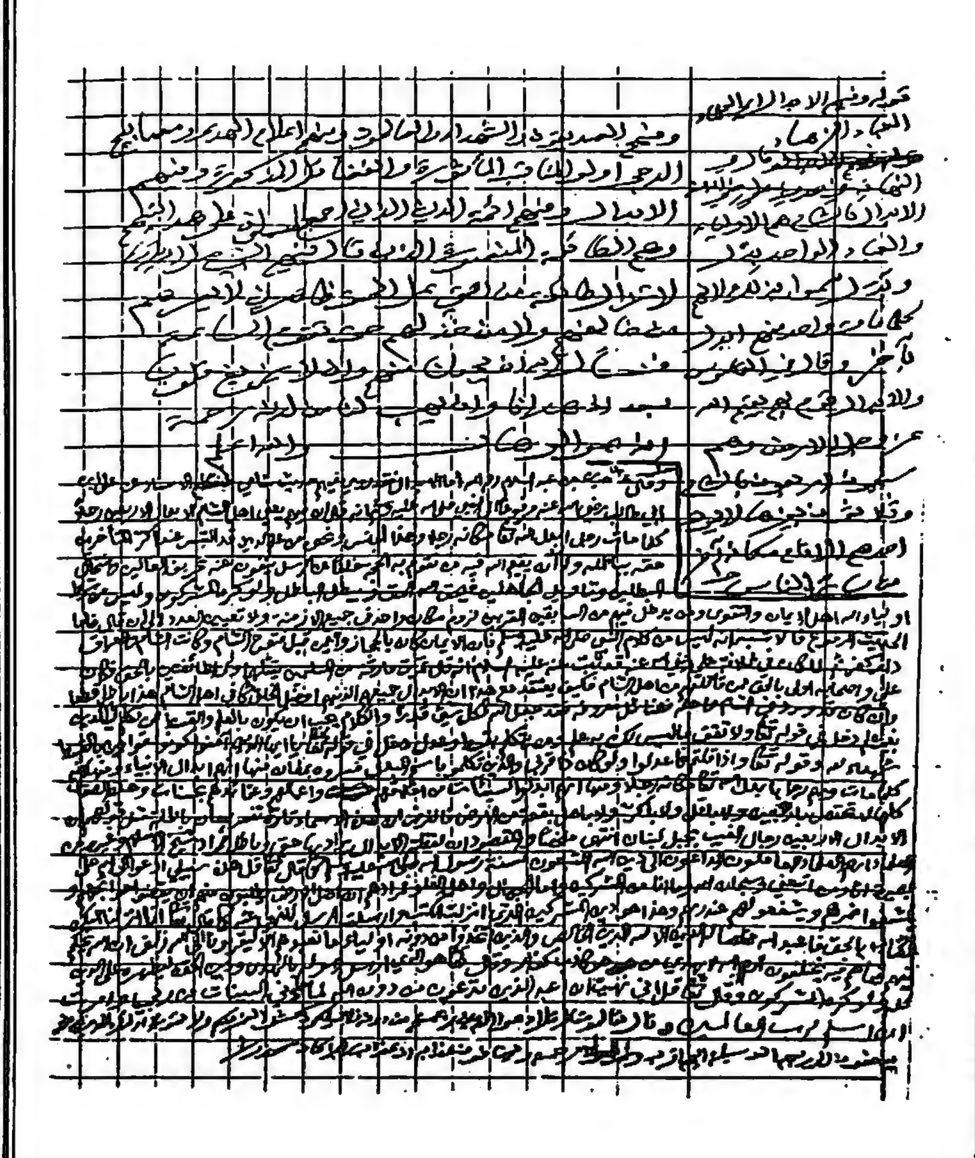
(١) ضمت هذه الموسوعة عدة كتب هي : محاسن الدين على متن الأربعين ، تعليقات على عمدة الأحكام ، وشرح كتاب التوحيد ، والتعليقات على العقيدة الواسطية ، والتعليقات على بلوغ المرام ، والتعليقات على الدرر البهية ، ونبذة في أصول الفقه، وغذاء القلوب ومفرج الكروب .
ومن هذا المجموع مخطوطة في ثلاثة مجلدات في مكتبة الملك فهد ، وعنها مصورة في دارة الملك عبدالعزيز .

(٢) وقد ضحّى بالكثير من وقته في سبيل خروج هذا الكتاب. فجزاه الله خيراً .



بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الورقة الأولى من المخطوطة



صورة الورقة الأخيرة من المخطوطة



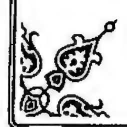
تأليف

الشيخ العلامة فيصل بن عبد العزيز آل مبارك

ت ١٣٧٦ هـ

تحقيق

عبد الإله بن عثمان الشايع





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الَّذي أرْسَلَ رسُولَه بالهدَى ودِينِ الحَقِّ ليُظهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّه ، وكَفى باللهِ شَهيداً .

وأشهَدُ ألاَّ إلهَ إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ لَهُ إقراراً به وتَوحيداً ، وأشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عبدُه ورسولُه ، صلَّى اللهُ عليه وعلَى آلِهِ وسلَّمَ تسليماً مَزِيداً.

أمَّا بَعْدُ : فهذا اعتقَادُ الفِرقَةِ النَّاجيةِ المنصُورَةِ إلى قيامِ السَّاعةِ : أهلُ السنَّةِ والجمَاعَة .

وهو الإيمانُ باللهِ ، ومَلائكتِه ، وكُتُبه ، ورُسُلِه ، والبعثِ بعدَ الموتِ ، والإيمانِ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه .

هذا الكتاب هو « العقيدة الواسطية » لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن تيمية الحرَّاني ، شيخ الإسلام والمسلمين ، وقامع أهل البدع والملحدين ، ولد سنة إحدى وستين وستمائة ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة رحمه الله تعالى .

قولـه : « أمَّا بَعْدُ : فهذا اعتقَادُ الفِرقَةِ النَّاجيةِ المنصُورَةِ إلى قيامِ السَّاعةِ : أهلُ السنَّةِ والجمَاعَة » يشير إلى قولـه ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة» قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : « مَنْ كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي »[1] .

---

(١) رواه أبوداود برقم (٤٥٩٦) ، والترمذي (٢٦٤٠) ، وابن ماجه (٣٩٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٣) .

. . . .

وقولـه ﷺ : « لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا مَن خالفهم ، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى »[١] .

قولـه: « وهو الإيمانُ بالله ، ومَلائكتِه ، وكُتبه ، ورُسُلِه ، والبعثِ بعدَ الموتِ ، والإيمانِ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه » يشير إلى ما وقع في حديث سؤال جبريل النبي ﷺ عن: الإسلام ، والإيمان ، والإحسان .

وفيه قال ـ أي جبريل ـ : فأخبرني عن الإيمان؟ قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» ، قال : صدقت. وقال النبي ﷺ في آخره : «هذا جبريل أتاكم يعلِّمكم دينكم»[٢] .

* * *

---

(١) رواه مسلم برقم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه ، وقد ورد بنحوه عن غير واحد من الصحابة .

(٢) رواه البخاري برقم (٥٠) (٤٧٧٧) ، ومسلم برقم (٩) .

ومِنَ الإيمانِ باللهِ : الإيمانُ بما وَصَفَ به نفسَهُ في كتَابِه ، وبما وصفه به رسولُه محمدَ ﷺ مِنْ غيرِ تحريفٍ ولا تعطِيلٍ ، ومِنْ غيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ ، بل يُؤمنونَ بأنَّ اللهَ سبحَانه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى :١١] ، فلا يَنْفُون عنه ما وَصَفَ بهِ نفسَه ، ولا يحرِّفُون الكَلِمَ عَنْ مَواضِعِه ، ولا يُلحِدُونَ في أسماءِ اللهِ وآياتهِ ، ولا يُكيِّفُونَ ، ولا يُمثِّلُون صفاتِه بصفاتِ خلْقِه؛ لأنَّه سبحانه لا سَمِيَّ له ، ولا كُفْءَ له ، ولا نِدَّ له ، ولا يُقاسُ بخلقِهِ سُبحَانه وتعالى ؛ فإنَّه سُبحانه أعلمُ بنفسِهِ وبغيرِهِ ، وأصْدَقُ قِيلاً ، وأحْسَنُ حَدِيثاً مِنْ خَلقِه .

ثمَّ رُسُلُه صادِقُون مُصدَّقُون؛ بخلافِ الذين يقولونَ عليهِ ما لا يَعلَمُون ، ولهذا قال : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات] ، فسبَّحَ نفْسَه عمَّا وصفَهُ به المخالفُون للرُّسُلِ ، وسلَّم على المرسَلِين ؛ لسلامةِ ما قالوه مِنَ النَّقصِ والعَيْبِ .

وهو سبحانه قد جَمَعَ فيما وصَفَ وسَمَّى به نفسَه بين النَّفْيِ والإثْبَاتِ ، فلا عُدُولَ لأهلِ السُّنَّةِ والجماعة عمَّا جاءَ به المرسَلُون ؛ فإنَّه الصِّرَاطُ المستَقِيم ، صِراط الذينَ أنعمَ الله عليهم مِنَ النَّبيِّين والصِّدِّيقِين والشُّهَدَاء والصَّالحِين .

وقد دَخَلَ في هذه الجُملةِ :

ما وصَفَ اللهُ به نفسَه في سُورةِ الإخلاصِ ، التي تَعدِلُ ثُلُثَ القرآن ، حيث يقول: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ .

وما وَصَفَ به نفسَه في أعْظَمِ آيةٍ في كتَابه؛ حيثُ يَقُول : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن

ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ * وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة :٢٥٥] ؛ ولهذا كان مَنْ قرأ هذه الآيةِ في ليلةٍ لم يزلْ عليه مِنَ الله حافظٌ ، ولا يَقْربهُ شيطانٌ حتى يُصبحَ .

قولـه تعالى : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي : هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ، لأنَّه الكامل في جميع صفاته وأفعاله .

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قال ابن عباس : يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم ، وعنه أيضاً : الصمد الذي لا جوف له ، وقاله كثيرٌ من المفسِّرين(١) .

﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ أي : ليس له ولدٌ ، ولا والدٌ ، ولا صاحبةٌ ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام:١٠١] .

وعن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا للنبي ﷺ : انْسُب لنا ربَّك. فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ رواه أحمد وغيره(٢) .

قولـه تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي : هو المتفرِّد بالإلهية .

﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ أي : الحي الذي لا يموت أبداً . القيوم : القائم على

---

* قال المؤلف في الهامش : أي لا يكرثه ولا يثقله .

(١) انظر : تفسير الطبري (٢٤/ ٧٣١) ، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٢٢٤) .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٦٤) ، والإمام أحمد في مسنده رقم (٢١٢١٩) (٣٥/ ١٤٣) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٠) ، وحسّنه الألباني .

. . . .

كل شيء ، فجميع الموجودات مفتقرة إليه ، وهو غنيٌّ عنها .

﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ ﴾ أي : نعاس ﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ، ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخلقاً .

﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ بأمره .

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا والآخرة .

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ أي: لا يحيطون بشيءٍ من علم الغيب إلا بما شاء أن يطلعهم عليه مما أخبر به الرسل .

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي : ملأ وأحاط ، قال ابن عباس : الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يُقدِّرُ أحدٌ قدره .

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ أي لا يثقله ولا يشُقُّ عليه .

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ قال البغوي : ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ الرفيع فوق خلقه ، والمتعالي عن الأشباه والأنداد .

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الكبير الذي لا شيء أعظم منه [١] .

* * *

---

(١) تفسير البغوي (ص١٥٩) . ط. دار ابن حزم ، بيروت .

وقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد :٣] ، وقوله سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان :٥٨] ، وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢] ، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ :١-٢] ، ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [فاطر :١١] ، وقوله : ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [الأنعام :٥٩] ، وقوله : ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢] .

قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ ﴾ أي الذي ليس قبله شيء .

﴿وَٱلْآخِرُ﴾ الذي ليس بعده شيء .

﴿وَٱلظَّـٰهِرُ﴾ الذي ليس فوقه شيء .

﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ الذي ليس دونه شيء .

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ظاهره وباطنه وأوله وآخره .

قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ أي فإنَّه حقيقٌ بالتوكل عليه ، لأنه باق على الأبد ، والحياة صفةُ الله تعالى .

قوله : ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية .

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي : يَدخُلُ فيها من الماء والأموات وغير ذلك .

﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ من النبات وغيره ، والأموات إذا حُشِروا.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ من الملائكة والأمطار وغير ذلك .

. . . .

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة والأعمال الصالحة وغير ذلك .

قوله : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ مفاتح الغيب: خزائنه. وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « مفاتح الغيب خمس لا يعلمهنَّ إلا الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ » . رواه البخاري[1] .

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ أي : ويعلم الحركات حتى من الجمادات .

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ يعني : مكتوبٌ في اللوح المحفوظ .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ أي : هو عالمٌ بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء .

قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ ، وأوَّل الآية ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ فالوحي من السماء السابعة إلى الأرض السفلى .

قال قتادة : في كل أرض من أرضه وسماءٍ من سمائه ، خلقٌ من خلقه ، وأمرٌ من أمره ، وقضاءٌ من قضائه ، ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ فلا يخفى عليه شيء .

* * *

(١) برقم (١٠٣٩) ، (٤٦٩٧) ، (٤٧٧٨) ، (٧٣٧٩) .

وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات :٥٨] ، وقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ، وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء :٥٨] ، وقوله : ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [الكهف :٣٩] ، وقوله : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة :٢٥٣] ، وقوله: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة :١] ، وقوله : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام :١٢٥] .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ أي : الرزاق لجميع خلقه ، وهو القوي المقتدر المبالغ في القوة والقدرة .

قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ .

ففي قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ رد للتشبيه ، وفي قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ردٌّ للتعطيل. فتضمَّنت إثبات صفات الكمال لله تعالى ، ونفيَ التشبيه عنه تبارك وتعالى.

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ وأول الآية : ﴿ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا ﴾ أي: نعم الشيء الذي يعظكم به ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ أي : سميعاً لأقوالكم بصيراً بأفعالكم .

. . . .

وعن أبي هريرة أنه قرأ هذه الآية ، ويضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ويقول: «هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع أصبعيه» رواه أبوداود وغيره[1] . ومعنى ذلك إثبات السمع والبصر حقيقةً لا تشبيه السمع بالسمع والبصر بالبصر ، فكما أنَّ ذاته لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ .

قولـه تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ أي: هي بمشيئة الله إن شاء أبقاها ، وإن شاء أفناها .

قولـه تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ وأول الآية قولـه تعالى : ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ أي : كل ذلك عن قضاء الله وقدره ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيوفق من يشاء فضلاً ، ويخذل من يشاء عدلاً.

قولـه تعالى : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ ﴾ أي : أحلت لكم بهيمة الأنعام كلها إلاَّ ما كان منها وحشياً فإنَّه صيد لا يحل لكم في حال الإحرام ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ أي: هو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهى عنه .

قولـه تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ﴾ أي: يفتح قلبه

---

(١) رواه أبوداود برقم (٤٧٢٨) ، وابن حبان برقم (٢٦٥) . قال أبوداود : وهذا رد على الجهمية . قال الألباني : صحيح الإسناد .

. . . .

وينوره حتى يقبل الإسلام ، ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ أي: لا يتسع لشيء من الهدى ولا يَخلُصُ إليه ما ينفعه من الإيمان ، وليس للخير فيه منفذٌ ، ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي : يشُقُّ عليه الإيمانُ كما يشقُّ عليه صعود السماء ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

* * *

وقوله : ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] ، ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات :٩] ، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة :٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة :٢٢٢]، وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ، وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤] ، وقوله : ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] . وقوله : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل :٣٠] ، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر : ٧] ، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب :٤٣] ، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف :١٥٦] ، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] ، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس :١٠٧] ، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف :٦٤] .

قوله تعالى : ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الإحسان : هو أعلى مقامات الطاعة ، قال ابن جرير : يعني جلَّ ثناؤه بقوله : ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ أحسنوا أيها المؤمنون في أداء ما ألزمتكم من فرائضي ، وتجنب ما أمرتكم بتجنبه من معاصي ، ومن الإنفاق في سبيلي ، وعَودِ القوي منكم على الضعيف ذي الخلة ، فإني أحب المحسنين في ذلك[1] .

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾ أي: اعدلوا في الحكم في الفئتين المتقاتلتين .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ ، وفي الحديث عن النبي ﷺ : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلتا يديه يمين ،

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٦) .

. . . .

الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » رواه مسلم[١] .

قوله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: متى استقاموا على العهد فاستقيموا لهم .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ قال ابن كثير : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ أي: من الذنب وإن تكرر غشيانه. ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي: المتنزهين عن الأقذار والأذى ، وهو ما نُهوا عنه من إتيان الحائض ، أو في غير المأتى[٢] .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ قال ابن كثير: أي: يحصلُ لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إيَّاه ، وهو محبته إياكم ، وهو أعظم من الأول ، كما قال بعض العلماء الحكماء : ليس الشأن أن تُحِبَّ ، إنما الشأن أن تُحَبَّ[٣] .

ثم قال تعالى : ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادَّعى محبة الله ، وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذبٌ في نفس الأمر . قال الحسن البصري : زعم قومٌ أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية .

قوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ فيه إثبات صفة محبة الله تعالى لعباده على ما يليق بجلاله ، قال الحسن : علم الله تبارك وتعالى أن قوماً

---

(١) برقم (١٨٢٧) ، من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٩٢) . دار طيبة ، تحقيق سامي السلامة .

(٣) المرجع السابق (٢/ ٣٢) :

. . . .

يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ فأخبرنا أنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه.

قولـه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ روى أحمد وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفُّوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال »[1] .

قولـه تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ قال ابن كثير : أي : يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ، ولو كان الذنب من أي شيء كان[2] .

والودود : قال ابن عباس وغيره : هو الحبيب .

قولـه تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في الحديث : « أن عيسى عليه السلام قال للمعلم الرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة »[3] .

قولـه تعالى : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ وأول الآية : ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأحوالهم ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٨/ ٢٨٤) رقم (١١٧٦١) ، وابن ماجه برقم (٢٠٠) ، وأبو يعلى (١٠٠٤) ، وضعفه الألباني في الضعيفة (٣١٠٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٠) بتصرف .

(٣) انظر : القصة في كتاب : عرش الرحمن وما ورد فيه من الآيات والأحاديث لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٦١) .

. . . .

قولـه تعالى : ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره وكان بالمؤمنين به ورسولـه ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون ، ولأمره متبعون[1]. ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ .

قولـه تعالى : ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي : عمَّت كل شيء ، قال الحسن : وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة.

قولـه تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ قال ابن كثير : أي : أوجبها على نفسه الكريمة ؛ تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً[2] .

قولـه تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي : الغفور لذنوب من تاب وأناب من عباده حتى من الشرك ، الرحيم بمن آمن به وأطاعه .

قولـه تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي: فسيرحم كِبَري وضَعفي ، ووجدي بولدي ، وأرجو من الله أن يرده عليَّ ، ويجمع شملي به ، إنه أرحم الراحمين ، فهو أرحم لعباده من كلِّ أحد .

* * *

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٢٤-١٢٥) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٢) .

قولـه: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [المائدة :١١٩] ، وقولـه : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء : ٩٣]، وقولـه : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد: ٢٨] ، ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] ، وقوله : ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة : ٤٦] ، وقولـه: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢] .

قولـه تعالى : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ قال ابن جرير : يقـول تعالى عز وجل : رضي الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له ما وعدوه، من العمل بطاعته واجتناب معاصيه ، ﴿ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ يقول: ورضوا هم عن الله تعالى في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه ، فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1] .

قولـه تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ أي : عامداً قتله ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بقتله إياه متعمداً ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾ أبعده من رحمته وأخزاه وأعدَّ له عذاباً عظيماً ، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن فعل هذا الذنب العظيم .

قولـه تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ من طاعـة الشيطان ﴿وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ من طاعة الرحمن ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ لأنها عُملت في غير مرضاته .

قولـه تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ أي: أغضبونا ﴿ ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ بعاجل العذاب ﴿ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٤٢-١٤٣) .

. . . .

قولـه تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ أي: منعهم وحبسهم عن الخروج ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ .

قولـه تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال البغـوي : أي : عظم ذلك في المقت والبغض عند الله ، أي : أن الله يبغض بغضاً شديداً أن تقولوا ما لا تفعلون ، أي : أن تعِدوا من أنفسكم شيئاً ثم لم تفوا به[1] .

وقال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا اصدقوا الله ورسوله ، ﴿لِمَ تَقُولُونَ ﴾ القول الذي لا تصدِّقونه بالعمل ، فأعمالكم مخالِفة أقوالَكم ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ يقول : عظُم مقتاً [عند ربكم قولكم ما لا تفعلون][2] .

* * *

---

(١) تفسير البغوي (ص١٣٠٨) ط. دار ابن حزم .

(٢) تفسير الطبري (٦٠٦/٢٢) ، وما بين المعقوفين من المرجع نفسه ، حيث طمس السطر الأخير من الورقة المخطوطة .

وقوله : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة :٢١٠] . وقوله : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام :١٥٨] ، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر :٢١-٢٢] ، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان :٢٥] .

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ قال ابن كثير : يقول تعالى مهدداً الكافرين ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني: يوم القيامة ، لفصل القضاء بين الأولين والآخرين ، فيجزي كل عامل بعمله ، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولهذا قال تعالى : ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[١] .

قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ قال ابن جرير : يقول جلَّ ثناؤه هل ينظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام إلا أن تأتيهم الملائكةُ بالموت ، فتقبض أرواحهم ، أو أن يأتيهم ربك ـ يا محمد ـ للقضاء بين خلقه في موقف القيامة ، ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ يقول : أو أن يأتيهم بعض آيات ربك ، وذلك ـ فيما قال أهل التأويل ـ : طلوع الشمس من مغربها[٢] .

قوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ قال ابن كثير : أي وطِّئت ومُهِّدت وسُوِّيت الأرض والجبال ، وقام الخلائق من قبورهم لربهم ، ﴿وَجَآءَ

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٠) .

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١١-١٢) .

. . . .

رَبُّكَ﴾ يعني : لفصل القضاء بين خلقه ، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء ، فيشفّعه الله تعالى في ذلك ، ـ وهي أول الشفاعات ـ ، وهي المقام المحمود ، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء ، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً[1] .

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ قال ابن جرير : وتأويل الكلام : ويوم تشقق السماء عن الغمام ، وقيل أن ذلك غمام أبيض مثل الغمام الذي ظُلّل على بني إسرائيل ، ثم ذكر عن مجاهد قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ قال: هو الذي قال : ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ ، الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ، ولم يكن قط إلا لبني إسرائيل . قال ابن جريج : الغمام الذي يأتي الله فيه ، غمامٌ زعموا في الجنة . وذكر بسنده عن عبدالله بن عمرو قال : يهبط الله حين يهبط، وبينه وبين خلقه سبعون [ألف] حجاب منها النور والظلمة والماء ، فيضرب الماء في تلك صوتاً تنخلع له القلوب[2] .

وعن عكرمة في قوله: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يقول: والملائكة حوله .

وعن ابن عباس قال : إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والإنس ، وهو يوم التلاق ، يوم يلتقي أهل السماء وأهل

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٩) .
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٣٦-٤٣٧) .

. . . .

الأرض ، فيقول أهل الأرض: جاء ربنا. فيقولون : لم يجئ وهو آتٍ ، ثم تشقق السماء الثانية ، ثم سماءٌ سماءٌ ، على قدر ذلك من التضعيف ، إلى السماء السابعة ، فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السماوات ، ومن الجن والإنس . قال : فتنزل الملائكة الكروبيون[١] ، ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى في حملة العرش الثمانية ، بين كعب كل ملك[٢] وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة ، قال : وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه ، وكل ملك منهم واضع رأسه بين يديه يقول : سبحان الملك القدوس ، وعلى رؤوسهم شيء مبسوط كأنه القَباءُ ، والعرش فوق ذلك ، ثم وقف . انتهى[٣] .

قال سفيان بن عيينة : كل ما وصف الله نفسه في كتابه فتفسيره قراءته ، والسكوت عليه ، ليس لأحد أن يفسره[٤] إلاَّ الله تعالى ورسوله .

* * *

---

(١) الكروبيّون هم المقربون . النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٤٠) .

(٢) في المخطوط : رجل . والتصحيح من تفسير الطبري .

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٤٣٧-٤٣٨) .

(٤) أي تفسير هيئة الصفة وكيفيتها ، بل نفوض الكيفية إلى علم الله عز وجل ، أما الصفة فإن مذهب السلف إثبات صفات الله عز وجل ، وإثبات معناها ، وتفويض الكيفية إلى علم الله عز وجل ؛ لأن الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات ، ولله عز وجل المثل الأعلى .

وقولـه : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن :٢٧] ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص :٨٨] ، وقولـه : ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص :٧٥] ، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة :٦٤] ، وقولـه : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور :٤٨] ، ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر] ، ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه :٣٩] .

قولـه تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ، وقبلها ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : كل من على ظهر الأرض من جن وإنس فإنه هالك ، ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ يا محمد ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ .

﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ من نعت الوجه ، فلذلك رفع ﴿ذُو﴾ . وقد ذكر أنها في قراءة عبدالله بالياء ـ ﴿ذي الجلال والإكرام﴾ ـ على أنه من نعت الرب وصفته ، قال ابن عباس : ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذو العظمة والكبرياء[١] .

قولـه تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي : كل شيء هالكٌ إلا هو ، قال ابن كثير في قولـه تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون ، وكذلك أهل السماوات إلاَّ من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت ، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً[٢] .

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢١١-٢١٢) .

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٩٤) .

. . . .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية بأنه ذو الجلال والإكرام .

قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى : قال الله لإبليس ، إذ لم يسجدْ لآدمَ وخالفَ أمرَه: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ يقول : أيُّ شيءٍ منعك من السجود ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ يقول : لخلق يدي . يخبر تعالى ذكره بذلك ، أنه خلق آدم بيده ، ثم ساق بسنده عن ابن عمر : خلق الله أربعةً بيده: العرش ، وعَدْنَ ، و القلم ، وآدم. ثم قال لكل شيء : كن فكان[1] .

قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ قال ابن عباس : ليس يعنون بذلك أنَّ يدَ الله موثقة، ولكنهم يقولون إنه بخيل أمسكَ ما عنده، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقال الضحاك: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ يقولون: إنه بخيل ليس بجواد. قال الله: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أمسكت أيديهم عن النفقة والخير ، ثم قال يعني نفسه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ ، وقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ ، يقول لا تمسك يدك عن النفقة ، قال البغوي : ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه ، وقال جل ذكره : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ، وقال النبي ﷺ : « كلتا يديه يمين »[2] . والله أعلم بصفاته ، فعلى العباد فيها الإيمان

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٥) .

(٢) رواه مسلم (١٨٢٧) أوله : « المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن ...» .

. . . .

والتسليم ، وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أمرُّوها كما جاءت بلا كيف[١] .

قولـه تعالى : ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ يا محمد الذي حكم به عليك ، وامض لأمره ونهيه وبلِّغ رسالاته ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ يقول جلَّ ثناؤه : فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملَك ، ونحن نحوطك ونحفظُك فلا يصِلُ إليك من أرادك بسوء من المشركين.

قولـه تعالى : ﴿ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ قال ابن كثير: أي: بأمرنا وبمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا ﴿جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي : جزاءً لهم على كفرهم بالله وانتصاراً لنوحٍ عليه السلام[٢] .

قولـه تعالى: ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ أي : بمرأى مني . قال قتادة : ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ هو غذاؤه ، ولتغذُ على عيني . قال ابن كثير: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ أي : عند عدوك جعلته يحبك. قال سلمة بن كهيل : ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي ﴾ قال : حببتك إلى عبادي . ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ قال أبوعمران الجوني : تُربى بعين الله. وقال قتادة : تغذى على عيني . وقال معمر بن المثنى : ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ بحيث أرى.

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : يعني أجعله في بيت الملك ينعم ويترف، وغذاؤه عندهم غذاء الملك ، فتلك الصنعة . انتهى[٣] .

---

(١) تفسير البغوي (ص٣٨٧) .

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٧٧) .

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٨٤) .

وقولـه: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة :١] ، وقولـه : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران :١٨١] ، وقولـه : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف :٨٠] ، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه :٤٦] ، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق :١٤] ، ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء : ٢١٨-٢٢٠] ، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾ [التوبة:١٠٥] .

قولـه تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ عـن عائشـة رضي الله عنها قالت : الحمد لله الـذي وسـع سمعـه الأصوات ، لقد جاءت المجادِلةُ إلى النبي ﷺ تكلمه ، وأنـا في ناحـية البيت ما أسمع ما تقول ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ إلى آخر الآية . رواه أحمد وغيره[1] .

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ يا محمد ، ﴿قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ يقول وتشتكي المجادلةُ ـ ما لديها من الهم بظهار زوجها منها ـ إلى الله ، وتسأله الفرج . ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ﴾ يعني : تحاور رسول الله ﷺ والمجادِلة خولة بنت ثعلبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره : إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه ، وغير

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند برقم (٢٤١٩٥) ، (٤٠/٢٢٨) ، وابن ماجه (١٨٨) ، والنسائي (٢٤٦٠) ، والحاكم (٢/ ٤٨١) وصححه ، وأقره الذهبي .

. . . .

ذلك من كلام خلقه ، بصير بما يعملون ويعمل جميع عباده[١] .

قولـه تعالى : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران :١٨١] عن ابن عباس قال : لما نزل قولـه تعالى : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] قالت اليهود : يا محمد ، افتقر ربُّك فسأل عبادَه القرض ، فأنزل الله : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ الآية .

قوله تعالى : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ قال البغوي: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ﴾ ما يُسِرّونه عن غيرهم ويتناجونه بينهم ، ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك ونعلم ، ﴿وَرُسُلُنَا ﴾ أيضاً من الملائكة يعني الحفظة ﴿ لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[٢] .

قولـه تعالى : ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ قال ابن عباس : أسمع دعاءكما فأجيبه ، وأرى ما يراد بكما فأمنعه ، لست بغافل عنكما فلا تهتما . وقال ابن جرير : يقول الله تعالى ذكره : قال الله لموسى وهارون ﴿لَا تَخَافَآ﴾ فرعون ، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ أعينكما عليه ، وأبصركما ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يجري بينكما وبينه ، فأُفهِمُكما ما تحاورانه به ، ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما تفعلان ويفعل ، لا يخفى علي من ذلك شيء[٣] .

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٤٥٦) .

(٢) تفسير البغوي (ص١١٧٣) .

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٧٧) .

. . . .

قولـه تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : ألم يعلم أبوجهل إذ ينهى محمداً عن عبادة ربه والصلاة له ، بأنَّ الله يراه ، فيخاف سطوتَه وعقابَه[١] .

وقال ابن كثير : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ أي : أمَا علِمَ هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه ، وسيجازيه على فعله أتـمَّ الجزاء[٢] .

قولـه تعالى : ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء] قال ابن جرير : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ إلى صلاتك ، ويرى ﴿ تَقَلُّبَكَ ﴾ في المؤتمين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ تلاوتك يا محمد ، وذكرك في صلاتك ما تتلو وتذكر ، ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما تعمل فيها ويعمل فيها من يتقلب فيها معك، مؤتَمًّا بك، يقول: فرتِّل فيها القرآن ، وأقم حدودها فإنك بمرأى من ربك ومسمع[٣] .

قولـه تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿وَقُلِ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك ، ﴿ ٱعْمَلُواْ ﴾ بما يرضيه من طاعته وأداء فرائضه ، ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ يقول : فسيرى اللهُ إن عملتم عملكم ، ويراه رسوله ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ في الدنيا ﴿ وَسَتُرَدُّونَ ﴾ يوم القيامة إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم ، فلا يخفى عليه شيء من باطن

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٥-٥٣٦) .

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٨) .

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٦٧٠) .

. . . .

أموركم وظواهرها ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: فيخبركم بما كنتم تعملون ، وما منه خالصاً وما منه رياءً ، وما منه طاعةً وما منه معصيةً، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم ، المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته[1] .

* * *

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٦٦٧-٦٦٨) .

وقوله : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد :١٣] ، وقوله : ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران :٥٤] ، وقوله : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل :٥٠] ، وقوله : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الطارق :١٥-١٦] ، وقوله : ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩] ، ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور :٢٢].

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ قال ابن كثير : وقوله : ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ أي : يشكُون في عظمته ، وأنه لا إله إلا هو ، ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [1] .

قال ابن جرير : شديدةٌ مماحلتهُ في عقوبة من طغى عليه وعتا ، وتمادى في كفره[2] .

وهذه الآية شبيهةٌ بقوله : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ [النمل :٥٠-٥١] .

وعن علي رضي الله عنه : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ أي : شديد الأخذ[3] .

وقال مجاهد : شديد القوه[4] .

قوله تعالى : ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ قال ابن

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٥) .

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٤٨٢) .

(٣) المرجع السابق (١٣/ ٤٨٣-٤٨٤) .

(٤) المرجع السابق (١٣/ ٤٨٣-٤٨٤) .

. . . .

جرير: يعني بذلك جل ثناؤه : ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل ؛ وهم الذين ذكر الله أن عيسى أَحَسَّ منهم الكفر .

وكان مكرهم الذي وصفهم الله به مواطأة بعضهم بعضاً على الفتك بعيسى وقتله .

قال : وأما مكر الله بهم فإنه ـ فيما ذكر السُّدِّي ـ : إلقاؤه شَبَهَ عيسى على بعض أتباعه ، حتى قتله الماكرون بعيسى ، وهم يحسبونه عيسى ، وقد رفع الله عز وجل عيسى قبل ذلك ... إلى أن قال : وقد يحتمل أن يكون معنى مكر الله بهم استدراجه إياهم ، ليبلُغَ الكتاب أجله[1] .

وقال البغوي : المكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة ، والمكر من الله استدراج العبد وأخذه بغتةً من حيث لا يعلم ، كما قال : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف :١٨٢][2] .

قولـه تعالى : ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : وغدر هؤلاء التسعةُ الرهط الذين يُفسدون في الأرض بصالحٍ ؛ بمصيرهم إليه ليلاً ليقتلوه وأهله ، وصالح لا يشعر بذلك، ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ يقول: فأخذناهم بعقوبتنا إياهم ، وتعجيل العذاب لهم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا .

وقد بيَّنا فيما مضى معنى مكر الله بمن مكر به ، وما وجه ذلك ، وأنَّه أخذُهُ من أخذَهُ منهم على غِرَّةٍ ، أو استدراجُه من استدرجَ منهم على كفرِهِ

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٤٤٦-٤٤٧) .

(٢) تفسير البغوي (ص٢١٠) .

. . . .

به ومعصيته إياه ، ثم إحلاله العقوبةَ على غِرَّة وغفلة[١] .

قولـه تعالى : ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦] قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المكذبين بالله ورسوله والوعد والوعيد يمكرون مكراً ، وقولـه : ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ يقول وأمكر مكراً ، ومكره جلَّ ثناؤه بهم إملاؤه إياهم على معصيتهم وكفرهم به[٢] .

وقال البغوي : ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يخاتلون النبي ﷺ ويظهرون ما هم على خلافه، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ وكيد الله استدراجه إياهم من حيث لا يعلمون[٣] .

قولـه تعالى : ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء :١٤٩] قال ابن جرير : يعني بذلك جلَّ ثناؤه ﴿إِن تُبْدُواْ ﴾ أيها الناس ﴿خَيْرًا ﴾ يقول : إن تقولوا جيلاً من القول لمن أحسن إليكم ، فتُظهروا ذلك شكراً منكم له على ما كان منه من حَسَنٍ إليكم ، ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يقول : أو تتركوا إظهار ذلك فلا تبدوه ، ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ ﴾ يقول : أو تصفحوا لمن أساء إليكم عن إساءته ، فلا تجهروا له بالسوء من القول الذي قد أذنتُ لكم أن تجهروا له به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا ﴾ يقول : لم يزل ذا عفوٍ عن خلقه ، يصفح لهم عمَّن عصاه ، وخالف أمره ، ﴿قَدِيرًا﴾ يقول : ذا قدرةٍ على الانتقام منهم ، وإنما يعني بذلك : أن الله لم يزل ذا عفوٍ عن عباده مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إياه ، يقول: فاعفوا أنتم أيضاً أيها الناس عمن أتى إليكم ظلماً ، ولا

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٩٢-٩٣) .

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٠٧) .

(٣) تفسير البغوي (ص١٤٠٠) .

. . . .

تجهروا له بالسوء من القول إلاَّ من ظُلم[١] .

وقال ابن كثير : وقولـه : ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ أي : إن تُظهروا أيها الناس خيراً أو أخفيتموه ، أو عفوتم عمَّن أساء إليكم ، فإن ذلك مما يقرِّبكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه ، فإنَّ من صفاته تعالى أن يعفوَ عن عباده مع قدرته على عقابهم ، ولهذا قال : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ ولهذا وردَ في الأثر : أنَّ حملة العرش يُسبِّحون اللهَ، فيقول بعضهم : سبحانك على حلمك بعد علمك ، ويقول بعضهم : سبحانك على عفوك بعد مقدرتك[٢] . وفي الحديث الصحيح : «ما نقص مالٌ من صدقةٍ، ولا زادَ الله عبداً بعفوٍ إلاَّ عزاً ، ومن تواضع لله رفعه»[٣][٤] .

قولـه تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور :٢٢] وأول الآية ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ أي : لا يحلف ، ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ ﴾ .

قال ابن جرير : يقول : ﴿وَلْيَعْفُواْ﴾ عمَّا كان منهم إليهم من جُرم ،

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٦٣٢-٦٣٣) .

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره (٣/ ٣١٥) ، والبيهقي في الشُّعَب (٣٦٤) ، وأبو الشيخ في العظمة (٤٨١) ، وابن أبي شيبة في العرش (٢٤) ، وأبونعيم في الحلية (٣/ ٥٥٣) (٦/ ٧٤) .

(٣) رواه مسلم برقم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٥) .

. . . .

وذلك كجُرمِ مِسطحٍ إلى أبي بكر ، في إشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الإفك ، ﴿وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ يقول : وليتركوا عقوبته على ذلك بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك ، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم ، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يقول : ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم ، بإفضالكم عليهم ، فيترك عقوبتكم عليها ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب من أطاعه ، واتبع أمره ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره وطاعتهم إياه على ما كانت لهم من زلة وهفوة ، قد استغفروه منها ، وتابوا إليه من فعلها[1] .

* * *

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٢٢٣-٢٢٤) .

وقوله : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ، وقوله عن إبليس : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص :٨٢] ، وقوله : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨] ، وقوله : ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم :٦٥] ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤] ، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢٢] ، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة :١٦٥] .

قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المنافقون الذي وصف صفتهم قبلُ : ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ فيها ، ويعني بالأعز الأشد والأقوى، قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ ﴾ يعني : الشدة والقوة ، ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك[1] .

قال البغوي : فعزة الله قهره من دونه ، وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها ، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم[2] .

قوله : ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره : قال إبليس : ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ أي : بقدرتك وسلطانك وقهرك من دونك من خلقك ، ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يقول : لأضِلَّنَّ بني آدم أجمعين ، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ يقول : إلا مَنْ أخلصته منهم لعبادتك، وعَصَمته من إضلالي، فلم تجعل لي عليه سبيلاً ، فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه .

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٦١) .
(٢) تفسير البغوي (ص١٣١٨) .

. . . .

وذكر بسنده عن قتادة قال : علِمَ عدوُّ الله أنه ليست له عزَّة[١] .

قولـه تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : تبارك ذكرُ ربك يا محمد ، ﴿ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ ﴾ يعني : ذي العظمة ، ﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ يعني : ومن له الإكرام من جميع خلقه .

وذكر بسنده عن ابن عباس : قولـه : ﴿ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ يقول ذو العظمة والكبرياء[٢] .

وقال ابن كثير : أي : هو أهلٌ أنْ يُجَلَّ فلا يُعصَى ، وأن يُكرَم فيُعبد ، ويُشكَر فلا يُكفَر ، وأن يُذكر فلا يُنسى .

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام»[٣] .

وفي الحديث الآخر أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثاً وقال : «اللهم أنت السلام ، ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»[٤][٥] .

قولـه تعالى : ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ قال ابن جرير : وقولـه ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ ﴾ يقول : فالزم طاعته ، وذل لأمره ونهيه ، ﴿ وَٱصۡطَبِرۡ

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٧-١٤٨) .
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٢٧٨) .
(٣) رواه الترمذي برقم (٣٥٢٢)، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٤٤٥)، وصححه الألباني.
(٤) رواه مسلم برقم (٥٩٢) .
(٥) تفسير ابن كثير (٧/ ٥١٠-٥١١) .

. . . .

لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ . يقول : واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه ، والعمل بطاعته ، تفز برضاه عنك ، فإنه الإله الذي لا مِثل له ولا عِدْلَ ولا شبيه في جُوده وكرمه وفضله ، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ . يقول : هل تعلمُ يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته ، والصبر على طاعته مِثْلاً في كرمه وجوده ، فتعبده رجاء فضله وطوله دونه ؟ كلا ، ما ذلك بموجود .

وذكر بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ قال: شبيهاً[١] .

قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ قال أبو العالية: لم يكن له شبيهٌ ولا عِدلٌ وليس كمثله شيء .

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال ابن جرير: الأندادُ جمعُ نِدٍّ ، والنِّدُّ : العِدْلُ والمِثْلُ .

وذكر بسنده عن ابن عباس في قوله : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال : أشباهاً .

وعن قتادة في قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي : تعلمون أن الله خلقكم وخلق السماوات والأرض ، ثم تجعلون له أنداداً[٢] .

وقال البغوي : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي : أمثالاً تعبدونهم كعبادة الله[٣] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري (١٥/ ٥٨٥) .

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٩٢-٣٩٣) .

(٣) تفسير البغوي (ص٢١) .

. . . .

قولـه تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ قال ابن كثير : يذكر تعالى حال المشركين في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أنداداً ، أي : أمثالاً ونظراء ، يعبدونهم معه ، ويحبونهم كحبه ، وهو الله لا إله إلا هو ، ولا ضد له ولا ند له ، ولا شريك له[1] .

* * *

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٠) .

وقولـه : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء : ١١١] ، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التغابن :١] ، وقوله : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان :١-٢] ، وقولـه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون :٩١-٩٢] ، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل :٧٤] ، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف :٣٣] .

قولـه تعالى : ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ فيكون مربوباً لا رباً ؛ لأن رب الأرباب لا ينبغي أن يكون لـه ولد ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ فيكون عاجزاً ذا حاجةٍ إلى معونة غيره ضعيفاً ، ولا يكون إلهاً من يكون محتاجاً إلى مُعين على ما حاول ، ولم يكنْ منفرداً بالملك والسلطان ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ يقول : ولم يكن لـه حليفٌ حالفَه من الذُّلِّ الذي به ؛ لأن من كان ذا حاجة إلى نُصرة غيره ، فذليل مهين ، ولا يكون من كان

. . . .

ذليلاً مهيناً يحتاج إلى ناصر إلهاً يطاع ، ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ يقول : وعظِّم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل، وأطعه فيما أمرك ونهاك[1].

وقال ابن كثير : لَمَّا أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى ، نزَّه نفسه عن النقائص فقال : ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ بل هو الله الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي : ليس بذليل فيحتاج إلى أن يكون له ولي أو وزير أو مشير ، بل هو تعالى خالق الأشياء وحده لا شريك له .

قال مجاهد في قوله : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ لم يحالف أحداً ، ولم يبتغ نصرة أحد .

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ أي: عظِّمه وأجلّه عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً.

قال ابن جرير : حدثني يونس : أنبأنا ابن وهب ، أخبرني أبو صخر ، عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ الآية قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولداً . وقالت العرب : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء الله لذل ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[2] .

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٣٧-١٣٨) .

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ١٣٠) .

. . . .

قولـه تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : يسجد له ما في السموات السبع ، وما في الأرض من خلقه، ويعظمه .

وقولـه ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ : يقول تعالى ذكره : له ملك السماوات والأرض ، وسلطانه ماضٍ قضاؤه في ذلك كله ، نافذ فيه أمره .

وقولـه : ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ﴾ يقول : وله حَمْدُ كل ما فيها من خلق ؛ لأن جميع مَنْ في ذلك من الخلق لا يعرفون الخيرَ إلا منه، وليس لهم رازقٌ سواه ، فله حمدُ جميعهم .

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول : وهو على كل شيء ذو قدرة ، يقول: يخلق ما يشاء ، ويميت من يشاء ، ويغني من أراد ، ويفقر من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ولا يتعذر عليه شيءٌ أراده ؛ لأنه ذو القدرة التامة التي لا يُعجزُه معها شيء[1] .

قولـه تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ ذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال : ﴿تَبَارَكَ﴾ تفاعل من البركة ، وهو كقول القائل : تقدّس ربنا . فقولـه : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ يقول: تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل فصلاً بعد فصل ، وسورةً بعد سورة .

﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ : محمد ﷺ ؛ ليكون محمدٌ لجميع الجن والإنس الذين بعثه الله إليهم داعياً إليه .

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٥) .

. . . .

﴿ نَذِيرًا ﴾ يعني منذراً ينذرهم عقابه ويخوفهم عذابه ، إن لم يوحدوه ، ولم يخلصوا له العبادة ، ويخلعوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان .

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ يقول تعالى ذكره : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ ، ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الذي له سلطان السموات والأرض يُنفذ في جميعها أمره وقضاءه ، ويُمضي في كلها أحكامه ، يقول : فحُقَّ على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ، ومن في سلطانه ، ولا يعصوه. يقول : فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس واتبعوه ، واعملوا بما جاءكم به من الحق .

﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ يقول تكذيباً لمن أضاف إليه الولدَ ، وقال : الملائكة بنات الله : ما اتخذ الذي نزّل الفرقان على عبده ولداً ، فمن أضاف إليه ولداً فقد كذب وافترى على ربه .

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ يقول تكذيباً لمن يُضيف الألوهية إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب ـ ويقول في تلبيته : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك ـ : كذب قائلوا هذا القول ، ما كان لله من شريكٍ في مُلكه وسلطانه فيصلح أن يُعبد من دونه ، يقول تعالى ذكره : فأفردوا أيها الناس لربكم ـ الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه ﷺ ـ الألوهية ، وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجن والإنس ؛ فإن كل ذلك خلقه وفي ملكه، فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جميع ذلك .

. . . .

وقولـه : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره : وخلق الذي نزَّل على محمد الفرقان كل شيء ، فالأشياء كلها خلقه وملكه ، وعلى المماليك طاعة مالكهم وخدمة سيدهم دون غيره ، يقول : وأنا خالقكم ومالِكُكم ، فأخلصوا لي العبادة دون غيري .

وقولـه : ﴿ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾ يقول : فسوَّى كلَّ ما خلق ، وهيَّأه لما يصلح له فلا خلل فيه ولا تفاوت[1] .

قولـه تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٩٢ ﴾ يقول تعالى : ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ أي : لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق ﴿وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ أي : لغلب بعضهم بعضاً كالعادة بين الملوك ، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ من الولد والشريك ، ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي : ما غاب عن خلقه وما رأوه .

﴿ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين ، ووصفهم إياه بما يصفون[2] .

قولـه تعالى : ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ قال ابن جرير : يقول : فلا تمثلوا لله الأمثال ، ولا تشبهوا له الأشباه ؛ فإنه لا مِثْلَ له ولا شبه ، فإنه أحدٌ صمدٌ ، لم يلد ولم يُولد ، ولم يكن له كُفُواً أحد .

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٣٩٤-٣٩٦) .

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ١٠٣) .

. . . .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول : والله أيها الناس يعلم خطأ ما يمثلون ويضربون من الأمثال ، وصوابه ، وغير ذلك من سائر الأشياء ، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ صواب ذلك من خطئه[1] .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ ما تزايد قبحه من الكبائر ، ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ جهرها وسرها . ﴿ وَٱلْإِثْمَ ﴾ كل ذنب . ﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي : الظلم . ﴿ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ برهاناً ، ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بالافتراء عليه ، والكذب من دعوى أنَّ له ولداً ، ونحو ذلك مما لا علم لكم به .

* * *

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٣٠٥-٣٠٦) .

وقولـه : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] في سبعة مواضع : في سورة الأعراف قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٥٤]، وقال في سورة يونس : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [آية:٣] ، وقال في سورة الرعد : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٢] ، وقال في سورة طه : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [٥] ، وقال في سورة الفرقان ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [٥٩] ، وقال في سورة آلم السجدة : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٤] ، وقال في سورة الحديد ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٤] .

قولـه تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : إن سيدكم ومصلح أموركم أيها الناس ، هو المعبود الذي له العبادة من كل شيء .

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، وذلك يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة[١] .

وقال ابن كثير : أما قولـه تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٢٤٥) .

. . . .

تعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبِّهين منفيٌّ عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيءٌ من خلقه ، و﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، بل الأمر كما قال الأئمة منهم نُعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال : من شَبَّه اللهَ بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر.

وليس في ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بجلال الله ، ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى. انتهى[(١)] .

وقال البغوي : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: قال الكلبي ومقاتل : استقر ، وقال أبوعبيدة : صعد ، وأوَّلت المعتزلة الاستواءَ بالاستيلاء ، فأمَّا أهل السنة فيقولون : الاستواء عل العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل[(٢)] .

وسأل رجلٌ مالكَ بن أنس عن قولـه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فأطرق رأسه مليّاً وعلاه الرحضاء[(٣)] ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أظنك إلا ضالاً ، فأمر به فأخرج .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٦-٤٢٧) .

(٢) أي يكلون العلم بكيفية ذلك ، أمَّا العلم بمعنى الصفة نفسها فكما قال مالك رحمه الله : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول .

(٣) الرحضاء : عرق الجبين .

. . . .

وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات : أمرُّها كما جاءت بلا كيف . انتهى[١] .

وقال في « جامع البيان » : أجمع السلف على أن استواءه على العرش صفةٌ له بلا كيف ، نؤمن به ، ونكِلْ العلم إلى الله تعالى[٢] .

قولـه تعالى في سورة يونس: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الذي له عبادة كل شيء ، لا تنبغي العبادة إلا له ، هو الذي خلق السماوات السبع ، والأرضين السبع في ستة أيام ، وانفرد بخلقها بغير شريك ولا ظهير ، ثم استوى على عرشه مُدبِّراً للأمور ، وقاضياً في خلقه ما أحب ، لا يضادُّه في قضائه أحد ، ولا يتعقَّب تدبيره متعقِّب ، ولا يدخُل أموره خللٌ[٣] .

وقال ابن كثير : يخبر تعالى أنه رب العالم جميعه ، وأنه خلَق السماوات والأرض في ستة أيام ، قيل : كهذه الأيام ، و قيل : كل يوم كألف سنة مما تعدُّون . ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ، والعرش أعظم المخلوقات وسقفها[٤] .

---

(١) تفسير البغوي (ص٤٦٦) .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن لمعين الدين الإيجي الشافعي (١/ ٦٢١) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ .

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ١١٣-١١٤) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٦-٢٤٧) .

. . . .

قولـه تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾
قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : الله ـ يا محمد ـ الذي رفع السماوات السبع بغير عَمَدٍ ترونها ، فجعلها للأرض سقفاً مسموكاً ... إلى أن قال : وأما قولـه : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ فإنه يعني : عَلاَ عليه[(١)] .

وقال ابن كثير : يخبر تعالى عن كمال قدرته ، وعظيم سلطانه : أنه الذي بإذنه وأمره رفع السماوات بغير عمد ، بل بإذنه وأمره وتسخيره ، رفعها عن الأرض بُعداً لا تنال ، ولا يدرك مداها ، فالسماء الدنيا محيطةٌ بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها ، مرتفعةٌ عليها من كل جانب على السواء ، وبُعدُ ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام ، وسمكها في نفسها مسيرة خمسمائة عام ، ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت ، وبينهم من بعد المسير خمسمائة عام ، وسُمْكها خمسمائة عام ، وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة كما قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ الآية ، وفي الحديث : « ما السماوات السبع وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرضٍ فلاة »[(٢)] والكرسي في العرش المجيد كتلك الحلقة في تلك

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٤٠٨ ، ٤١١) .

(٢) رواه ابن حبان (٣٦١) ، وأبو نعيم (١/ ١٦٦) ، وابن عساكر (٢٣/ ٢٧٤، ٢٧٧) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٣) ، وأبو الشيخ في كتاب العظمة رقم (٢٢٠، ٢٥٢) قال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٤١١) : صححه ابن حبان .

. . . .

الفلاة ، وفي رواية : « والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل»[١] .

وجاء عن بعض السلف أن بُعْدَ ما بين العرش إلى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة ، وبُعدَ ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة ، وهو من ياقوتة حمراء[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ تقدم تفسيره في سورة الأعراف ، وأنه يُمَرُّ كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره: الرحمن على عرشه ارتفع وعلا[٣] .

وقال ابن كثير : وقوله : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ : تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف ، بما أغنى عن إعادته أيضاً ، وأنَّ المسلك الأسلم في ذلك طريقةُ السلف : إمرارُ ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ، ولا تحريف ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، ولا تمثيل[٤] .

قوله : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ ﴾ قيل : كان ابتداء ذلك يوم الأحد، والفراغ يوم الجمعة ، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ وعلا عليه ، وذلك يوم السبت فيما قيل .

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٢٨٢) موقوفاً . والخطيب في تاريخه (٩/ ٢٥١) مرفوعاً . والصحيح أنه موقوف . انظر العلل المتناهية (١/ ٢٢) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٨-٤٢٩) .

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١١) .

(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٧٣) .

. . . .

وقولـه : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ يقول : فاسأل يا محمد بالرحمن خبيراً بخلقه ، فإنه خالق كل شيء ، ولا يخفى عليه ما خلقه[1] .

قولـه تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : المعبودُ الذي لا تصلح العبادة إلا له ، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من خلق ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ على عرشه في اليوم السابع ، بعد خلق السماوات والأرض وما بينهما[2] .

قولـه تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره: هو الذي أنشأ السماوات السبع والأرضين، فدبَّرهنَّ وما فيهنَّ ، ثم استوى على عرشه، فارتفع عليه وعلا[3] .

* * *

---

(١) انظر : تفسير الطبري (١٧/ ٤٨٠-٤٨١) .

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٥٩١) .

(٣) المرجع السابق (٢٢/ ٣٨٧) .

وقولـه : ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران:٥٥] ، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء:١٥٨] ، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:١٠] ، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر:٣٦-٣٧] ، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك:١٦-١٧] .

قولـه تعالى : ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قال ابن جرير : يعني بذلك جلَّ ثناؤه، ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم ، إذا قال الله جل ثناؤه : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ فـ(إذ) صلة من قولـه ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ يعني : ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ فتوفاه ورفعه إليه[١] .

وقال ابن كثير : وقولـه تعالى : ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي : رفعي إياك إلى السماء[٢] .

قولـه تعالى : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾ قال ابن جرير : يعني بل رفعَ اللهُ المسيحَ إليه ، يقول : لم يقتلوه ولم يصلبوه ، ولكنَّ الله رفعه إليه ، فطهَّره من الذين كفروا[٣] .

قولـه تعالى : ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ قال ابن

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٤٤٧) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧) .

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٦٦٢) .

. . . .

جرير : يقول تعالى ذكره إلى الله يصعد ذكر العبد إياه ، وثناؤه عليه ، ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ يقول : ويرفع ذكر العبد ربه إليه العمل الصالح ، وهو العمل بطاعته ، وأداء فرائضه ، والانتهاء إلى ما أمره به . ثم ذكر بسنده عن عبدالله قال : إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله ، إن العبد المسلم إذا قال : سبحان الله وبحمده ، الحمد لله ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، تبارك الله ، أخذهن مَلَك فجعلهن تحت جناحين ، ثم صعد بهن إلى السماء ، فلا يمر على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن ، ثم قرأ عبدالله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[1] .

قولـه تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لما وعظه المؤمنُ من آلِهِ بما وعظه به ، وزجره عن قتل موسى نبي الله ، وحذره من بأس الله على قيله (اقتله) ما حذره لوزيره هامان وزير السوء : ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ يعني بناءً .

﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ﴾ : لعلي أبلغ من أسباب السموات أسباباً أتسبَّبُ بها إلى رؤية إله موسى .

وقولـه : ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾ يقول : وإني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدَّعي من أن له في السماء رباً أرسله إلينا[2] .

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٣٣٨) .

(٢) انظر : المرجع السابق (٢٠/ ٣٢٤-٣٢٦) .

. . . .

قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ۝١٧ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ أيها [الناس] الكافرون ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ يقول : فإذا الأرض تذهب بكم وتجيء وتضطرب ، ﴿ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ وهو الله ﴿ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ ﴾ وهو التراب فيه الحصباء الصغار ، ﴿ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ يقول : فستعلمون أيها الكفرة كيف عاقبةُ نذيري لكم ، إذ كذبتهم به ، ورددتموه على رسولي[1] .

وقال البغوي : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قال ابن عباس : أي عذاب من في السماء إن عصيتموه[2] .

* * *

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٩-١٣٠) .

(٢) تفسير البغوي (ص١٣٣٣) .

وقوله : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد :٤] ، وقوله : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] ، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة :٤٠] ، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل :١٢٨] ، ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال :٤٦] ، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة :٢٤٩] .

قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ قال ابن جرير : وقوله : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن صفته وأنه لا يخفى عليه خافية من خلقه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من خلقه، يعني بقوله: ﴿يَلِجُ﴾ يدخل ، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ منهم ، ﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ إلى الأرض من شيء قط ، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ﴾ فيصعد إليها من الأرض ، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ يقول : وهو شاهدكم أيها الناس ، أينما كنتم يعلمكم ، ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم ، وهو على عرشه فوق سماواته السبع ، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول : والله بأعمالكم التي تعملونها من حسن وسيئ ، وطاعة ومعصية ، ذو بصر ، وهو لها محصٍ ليجازيَ المحسنَ منكم بإحسانه ، والمسيء

. . . .

بإساءته يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون[١] .

قولـه تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ وأول الآية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية ، قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فترى أن الله يعلم ما في السماوات والأرض من شيء ، لا يخفى عليه صغير ذلك وكبيره. يقول جل ثناؤه : فكيف يخفى على من كانت هذه صفته أعمال هؤلاء الكافرين وعصيانهم ربهم .

ثم وصف ـ جلَّ ثناؤه ـ قُربَه من عباده وسماعَه نجواهم ، وما يكتمونه الناس من أحاديثهم ، فيتحدثون سراً بينهم ، فقال : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ من خلقه ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعلم سرهم ونجواهم ، لا يخفى عليه شيء من أسرارهم ، ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ يقول : ولا يكون من نجوى خمسةٍ ، إلا هو سادسهم كذلك ، ﴿ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ ﴾ يقول : ولا أقل من ثلاثة ، ﴿ وَلَآ أَكْثَرَ ﴾ من خمسة ، ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ إذا تناجوا ، ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ يقول : في أي موضع ومكان كانوا .

وعنى بقوله: ﴿هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني : أنه مشاهدهم بعلمه وهو على عرشه.

ثم ساق بسنده عن الضحاك في قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ﴾ إلى

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٨٧) .

. . . .

قوله : ﴿ هُوَ مَعَهُمْ ﴾ قال : هو فوق العرش وعلمه معهم ﴿أَيْنَ مَا كَانُوٓاْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١] .

وقال ابن كثير : حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معيَّة علمه تعالى ، ولا شك في إرادة ذلك ، ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم وبصره نافذٌ فيهم ، فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه ، لا يغيب عنه من أمورهم شيء ، قال الإمام أحمد : افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم[٢] .

قوله تعالى : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ قال ابن جرير: يقول إذ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر : ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ ، وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما ، فجزع من ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ : « لا تحزن إن الله معنا ، والله ناصرنا ، فلن يعلم المشركون بنا ، ولن يصلوا إلينا »[٣] .

قوله تعالى : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ قد تقدمت هذه الآية في الآيات التي فيها إثبات السمع والبصر ، والمراد بها هنا إثبات المعيَّة الخاصة .

قال ابن كثير : ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ أي: لا تخافا من فرعون ، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه ، وأرى مكانكما ومكانه ، لا يخفى عليَّ من أمركم شيء ، واعلما أن ناصيته بيدي ؛ فلا يتكلم ولا يتنفس

---

(١) المرجع السابق (٢٢/ ٤٦٨) .

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢) .

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٤٦٤) ، والحديث أصله في البخاري رقم (٣٦١٥) ، ومسلم رقم (٢٠٠٩) .

. . . .

ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي[١] .

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ يا محمد ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ الله في محارمه فاجتنبوها وخافوا عقابه عليها ، فأحجموا عن التقدم عليها ، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ يقول : وهو مع الذين يُحسنون رعاية فرائضه ، والقيام بحقوقه ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه[٢] .

وقال ابن كثير : وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ أي : معهم بتأييده ونصره ومعونته ، وهذه معيَّة خاصَّة ، كقوله : ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال : ١٢] ، وقوله لموسى وهارون : ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه : ٤٦] ، وقول النبي ﷺ للصديق وهما في الغار : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة : ٤٠] . وأما المعيَّة العامَّة فبالسمع والبصر والعلم ، كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد :٤] ، وكقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة : ٧] ، وكما قال تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ الآية [يونس : ٦١] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢٩٦) .

(٢) تفسير الطبري (١٤/٤٠٩) .

. . . .

ومعنى ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ﴾ أي : تركوا المحرمات ، ﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ أي : فعلوا الطاعات ، فهؤلاء يحفظهم ويكلؤهم ، وينصرهم ويؤيدهم ، ويُظفرُهم على أعدائهم ومخالفيهم[١] .

قوله تعالى : ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قال ابن جرير : ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ﴾ يقول : اصبروا مع نبي الله ﷺ عند لقاء عدوكم ، ولا تنهزموا عنه وتتركونه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يقول : اصبروا فإني معكم[٢] .

وأورد البغوي في تفسير هذه الآية حديث : «لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا » الحديث[٣] .

قولـه تعالى : ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ قال ابن جرير على قولـه تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ﴾ الآية : تأويل الكلام : قال الذين يوقنون بالمعاد ويصدّقون بالمرجع إلى الله للذين قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده : ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ﴾ يعني بـ﴿كَم﴾ كثيراً غلبت فئة قليلة فئة كثيرة ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ﴾ يعني بقضاء الله وقدره ، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يقول : مع الحابسين أنفسهم على رضاه وطاعته ، يعني والله معين الصابرين على الجهاد في سبيله ، وغير ذلك من طاعته ، وظهورهم ونصرهم على

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٥) .

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٢١٤-٢١٥) .

(٣) انظر : تفسير البغوي (ص/ ٥٣٠) ، والحديث رواه البخاري برقم (٢٨١٨) ، و(٢٨٣٣) ، ومسلم برقم (١٧٤٢) .

. . . .

أعدائه الصادين عن سبيله المخالفين منهاج دينه ، وكذلك يقال لمعين رجل على غيره : هو معه. بمعنى : هو معه بالعون والنصرة[1] .

* * *

---

(١) انظر : تفسير الطبري (٤/ ٤٩٦-٤٩٧) .

وقوله : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء :٨٧] ، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء :١٢٢] ، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة :١١٠] ، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام :١١٥] ، وقوله : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] ، ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة :٢٥٣] ، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:١٤٣]، ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم : ٥٢] ، وقوله : ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء:١٠] ، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف :٢٢] ، وقوله : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص :٦٥] .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ، وأول الآية ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ، قال ابن جرير : يعني بذلك فاعلموا حقيقة ما أخبرتكم من الخبر ، فإني جامعكم إلى يوم القيامة للجزاء والعرض والحساب ، والثواب والعقاب يقيناً ، فلا تَشكّوا في صحته ، ولا تمتروا في حقيقته ، فإن قولي الصدق الذي لا كذب فيه ، ووعدي الصدق الذي لا خُلْفَ فيه . ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ، يقول : وأي ناطقٍ أصدق من الله حديثاً ، وذلك أن الكاذب إنما يكذب ليجتلب بكذبه إلى نفسه نفعاً ، أو يدفع به عنها ضراً ، والله تعالى ذكره خالق الضر والنفع ، فغير جائز أن يكون منه كذب ؛ لأنه لا يدعوه إلى اجتلاب نفع ، ولا دفع ضر عن نفسه ، أو دفع ضر عنها سواه تعالى ذكره ، فيجوز أن يكون له في استحالة الكذب منه نظير، ومن أصدق من الله حديثاً وخبراً[(١)].

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٧٩-٢٨٠) .

. . . .

وقال ابن كثير : وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ أي : لا أحد أصدق منه في حديث وخبره ، ووعده ووعيده ، فلا إله إلا هو ، ولا ربَّ سواه[١] .

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ ، قال ابن جرير : يقول : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ أيها الناس ، ﴿مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ أي لا أحد أصدق منه قيلاً ، فكيف تتركون العمل بما وعدكم على العمل به ربكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، وتكفرون به ، وتخالفون أمره ، وأنتم تعلمون أنه لا أحد أصدق منه قيلاً ، وتعملون بما يأمركم به الشيطان رجاء لإدراك ما يعدكم من عداته الكاذبة وأمانيه الباطلة، وقد علمتهم أن عِداتِه غرور لا صحةَ لها ، ولا حقيقة ، وتتخذونه ولياً من دون الله ، وتتركون أن تطيعوا الله فيما يأمركم به وينهاكم عنه ، فتكونوا له أولياء ، ومعنى القيل والقول واحد[٢] .

وقال ابن كثير : « ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ أي : لا أحد أصدق منه قولاً أي خبراً ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، وكان النبي ﷺ يقول في خطبته : «**إن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار** »[٣] .

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ...﴾ قال ابن جرير : يقول

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧١) .

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٠٦-٥٠٧) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤١٧) . والحديث رواه مسلم برقم (٨٦٧) باختلاف في بعض ألفاظه، وهو في مسند أحمد برقم (١٤٤٥٥) .

. . . .

تعالى ذكره : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ فيقول : ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ إذ قال الله: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقيل : إن الله قال هذا القول لعيسى حين رفعه إليه في الدنيا .

وساق بسنده عن السدي قال : لما رفع الله عيسى ابن مريم إليه ، قالت النصارى ما قالت ، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك ، فسأله عن قوله فقال : ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ إلى قولـه : ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

وعن ابن جريج ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال : والناس يسمعون ، فراجعه بما قد رأيت ، وأقر له بالعبودية على[1] نفسه ، فعلم من كان يقول في عيسى ما يقول أنه إنما كان باطلاً[2] .

وقال ابن كثير على قولـه تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ...﴾ الآيات : هذا أيضاً مما يخاطب الله به عبدَه ورسولَه عيسى ابن مريم عليه السلام ، قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ، وهذا

---

(١) في المخطوط : (عن) والتصويب من تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٣٣-١٣٤) .

. . . .

تهديدٌ للنصارى وتوبيخٌ وتقريع على رؤوس الأشهاد . هكذا قاله قتادة وغيره[١] .

قولـه تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : وكملت كلمة ربك ، يعني القرآن ، سمّاه كلمةً كما تقول العربُ للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر : هذه كلمة فلان .

[﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ يقول : كملت كلمة ربك من الصدق والعدل ، والصدق والعدل نُصبا على التفسير للكلمة][٢] كما يقال عندي عشرون درهماً .

﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ يقـول : لا مغيِّر لما أخبر في كتبه أنه كائن من وقوعه في حينه وأجله الذي أخبر الله أنه واقعٌ فيه ، وذلك نظير قولـه جل ثناؤه : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ﴾[٣] .

وقال ابن كثير : وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ قال قتادة: صدقاً فيما قال ، وعدلاً فيما حكم ، يقول : صدقاً في الإخبار ، وعدلاً في الطلب ، فكل ما أخبر به فحقٌّ لا مرية فيه ولا شك ، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه ، وكل ما نهى عنه فباطل ، فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٢) .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في المخطوط ، وأكملته من تفسير الطبري ليستقيم المعنى .

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٥٠٧-٥٠٨) .

. . . .

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي : ليس أحد يعقب حكمه تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة[١] .

وقال البغوي : قولـه عز وجل : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿كَلِمَتُ﴾ على التوحيد ، وقرأ آخرون : ﴿ كلماتُ ﴾ بالجمع ، والمراد بالكلمات أمره ونهيه ، ووعده ووعيده . ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي : صدقاً في الوعد والوعيد ، وعدلاً في الأمر والنهي ، قال قتادة ومقاتل : صدقاً فيما وعد ، وعدلاً فيما حكم ، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ قال ابن عباس: لا رادَّ لقضائه ، ولا معيِّر لحكمه ، ولا خُلف لوعـده ، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ قيل : أراد بالكلمات القرآن ﴿ لَا مُبَدِّلَ ﴾ له ، يريد لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون . انتهى[٢] .

قولـه تعالى : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ : قال ابن جرير : يعني بذلك جل ثناؤه : وخاطب اللهُ بكلامه موسى خطاباً .

وساق بسنده عن نوح بن أبي مريم ، وسُئل : كيف كلم الله موسى تكليماً ؟ قال : مشافهة[٣] .

وقال ابن كثير : قولـه ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ وهذا تشريفٌ لموسى عليه السلام بهذه الصفة ، ولهذا يقال له الكليم[٤] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢٢) .

(٢) تفسير البغوي (ص٤٣٩) .

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٦٨٩) .

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٤-٤٧٥) .

. . . .

وقال صاحب «الوجيز» : أخبر الله بأنه شرَّف موسى بكلامه وأكَّده بالمصدر دلالةً على وقوع الفعل على حقيقته لا على المجاز[1] .

قوله تعالى : ﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ قال ابن جرير: يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿۞تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ الذين قصَّ اللهُ قَصَصَهم في هذه السورة ؛ كموسى بن عمران ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، وشمويل ، وداود ، وسائر من ذكر نبأهم في هذه السورة . يقول تعالى ذكره : هؤلاء رسُلي فضلت بعضهم على بعض ، والذي كلَّمته منهم موسى ﷺ ، ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة ورفعة المنزلة .

وساق بسنده عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : ﴿۞تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ قال : يقول : ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم على بعض درجات . يقول : كلَّم اللهُ موسى ، وأرسل محمداً إلى الناس كافةً[2] .

وقال البغوي : ﴿۞تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: كلمه الله تعالى ، يعني موسى عليه السلام ، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ ، يعني : محمداً ﷺ ، وما أوتي نبيٌّ آيةً إلا أوتي نبينا مثل تلك الآية ، وفُضِّل على غيره بآيات مثل : انشقاق القمر بإشارته ، وحنين الجذع على مفارقته ، وتسليم الحجر والشجر عليه ، وكلام البهائم والشهادة برسالته ، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تُحصى، وأظهرها

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (ص/ ٥٠٠) .

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٥١٩-٥٢٠) .

. . . .

القرآن الذي عجز أهل السماء والأرض عن الإتيان بمثله . انتهى[١] .

قولـه تعالى : ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكـره : وناديناه موسـى من ناحية الجبل ، ويعني بالأيمن يمين موسى ؛ لأن الجبل لا يمين له ولا شمال ، وإنما ذلك كما يقال : قام عن يمين القبلة وعن شمالها .

وقولـه : ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ يقول تعالى ذكره : وأدنيناه مُناجياً كما يقال : فلان نديم فلان ومُنادِمه ، وجليس فلان ومُجالسُه ، وذُكر أن الله جل ثناؤه أدناه حتى سمع صريف القلم .

ثم ساق بسنده عن ابن عباس : ﴿ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ قال: أُدنِيَ حتى سمع صريف القلم[٢] .

وقال ابن كثير : وقولـه ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾ [أي : الجبل ، ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾][٣] أي : الجانب الأيمن من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة فرآها تلوح فقصدها فوجدها في جانب الطور الأيمن منه غربيه عند شاطئ الوادي ، فكلّمه اللهُ تعالى وناداه وقرَّبه فناجاه . قال ابن عباس : أُدني حتى سمع صريف القلم ، وهكذا قال مجاهد وأبوالعالية وغيرهم ، يعنون صريف القلم بكتابة التوراة ، وقال السدي ﴿ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ قال : أُدخل في

---

(١) تفسير البغوي (ص/ ١٥٦) .

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٥٥٩-٥٦٠) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط ، واستدركته من تفسير ابن كثير .

. . . .

السماء فكلَّم ، وعن مجاهد نحوه[١] .

وقال البغوي : قوله ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ يعني يمين موسى ، والطور: جبل بين مصر ومدين ، ويقال اسمه الزبير ، وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودي : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ، ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ أي : مناجياً ، فالنجي المناجي ، كما يقال : جليس ونديم ، قال ابن عباس : معناه قرَّبه فكلَّمه ، ومعنى التقريب إسماعه كلامه ، وقيل : رفعه على الحجب حتى سمع صريف القلم . انتهى[٢] .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى بن عمران : ﴿ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعني : الكافرين ، ﴿ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ عقاب الله على كفرهم به[٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : ونادى آدم وحواءَ ربُّهما : ﴿ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا ﴾ عن أكل ثمرة الشجرة التي أكلتما ثمرها ، وأعلمكما أن إبليس لكما عدوٌّ مبين ، يقول : قد أبان عداوته لكما بترك السجود لآدم حسداً وبغياً .

وعن ابن عباس قال : لما أكل آدم من الشجرة قيل له : أكلتَ من الشجرة

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٧-٢٣٨) .

(٢) تفسير البغوي (ص٨٠٤) .

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ٥٥٢) .

. . . .

التي نهيتك عنها ؟ قال : حواء أمرتني . قال: فإني قد أعقبتها أن لا تحمل إلا كُرهاً ولا تضعُ إلا كُرهاً . قال : فرنَّت حواءُ عند ذلك ، فقيل لها : الرنَّةُ عليك وعلى ولدك[1] .

وعن أُبيّ بن كعب قال : كان آدم رجلاً طُوالاً كأنه نخلة سحوق ، كثير شعر الرأس ، فلما وقع فيما وقع فيه من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك وكان لا يراها ، فانطلق هارباً في الجنة ، فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة . فقال لها : أرسليني. فقالت : إني غير مرسلتك ، فناداه ربه عز وجل : يا آدم أمنّي تفر ؟ قال : يا رب إني استحييتك .

قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قال ابن جرير يقول تعالى ذكره : ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين فيقول لهم : ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فيما أرسلناهم به إليكم ، من دعائكم إلى توحيدنا ، والبراءة من الأوثان والأصنام ، ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ .

قال مجاهد : ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ قال : الحُججُ . يعني : الحُجَّة[2] .

* * *

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١١٤-١١٥) .

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٢٩٦-٢٩٧) .

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة :٦] ، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة :٧٥] ، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح :١٥] ، وقوله : ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف :٢٧] ، ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل :٧٦] .

قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحدٌ ليسمع كلام الله منك ، وهو القرآن الذي أنزله الله عليك ﴿ فَأَجِرْهُ ﴾ يقول : فأمِّنه ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ وتتلوه عليه ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ ، يقول : ثم رُدَّه بعد سماعه كلام الله ـ إن هو أبى أن يُسلم ، ولم يتعظ بما تلوتَه عليه من كلام الله فيؤمِّن إلى ﴿ مَأْمَنَهُ ﴾ يقول : إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين[1] .

قوله تعالى : ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن كثير : يقول تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ أي : ينقاد لكم بالطاعة ، هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود ، الذين شاهد آباؤهم من الآيات البينات ما شاهدوه؛ ثم قست قلوبهم من بعد ذلك ، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٣٤٦) .

. . . .

يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أي : يتأوَّلونه على غير تأويله ، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: فهموه على الجلية ، ومع هذا يخالفونه على بصيرة ، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله[١] .

قولـه تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ﴾ قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : سيقول يا محمد المخلفون في أهليهم عن صحبتك إذا سرتَ معتمراً تريد بيت الله الحرام ، إذا انطلقت أنت ومن صَحِبك في سفرك ذلك إلى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنيمة لتأخذوها ـ وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر ـ : ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ ﴾ إلى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها .

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ يقول : يريدون أن يُغيِّروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية ؛ وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم ، ووعدهم ذلك عوضاً من غنائم أهل مكة ، إذا انصرفوا عنهم على صلح ، ولم يصيبوا منهم شيئاً .

وقولـه : ﴿ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ ﴾ [الفتح : ١٥] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل لهؤلاء المخلَّفين عن المسير معك يا محمد : لن تتبعونا إلى خيبر إذا أردنا المسير إليهم لقتالهم ، ﴿كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ﴾ . يقول : هكذا قال الله لنا من قبل مرجعنا إليكم أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية معنا ، ولستم ممن شهدها ، فليس لكم أن تتبعونا إلى

---

(١) تفسير ابن كثير ، ط١ ، (١/٣٠٧-٣٠٨) .

. . . .

خيبر ؛ لأن غنيمتها لغيركم[١] .

قوله : ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧] قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : واتبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا ، ولا تتركن تلاوته واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه ، والعمل بحلاله وحرامه فتكون من الهالكين ، وذلك أن مصير من خالفه ، وترك اتباعه يوم القيامة إلى جهنم ، ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ يقول: لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك ، أهل معاصيه ، والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناه إليك .

وقوله : ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴾ يقول : إن أنت يا محمد لم تتلُ ما أوحي إليك من كتاب ربك فإنه لا ملجأ لك من الله[٢] .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [النمل : ٧٦] قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن الذي أنزلته إليك يا محمد ، يقص على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها ، وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى ، فقالت اليهود فيه ما قالت ، وقالت النصارى فيه ما قالت ، وتبرّأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء ، وهؤلاء من هؤلاء ، وغير ذلك من الأمور التي اختلفوا فيها ، فقال جل ثناؤه لهم : إن هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم ، فاتبعوه ، وأقرُّوا لما فيه ، فإنه يقص عليكم بالحق ، ويهديكم إلى سبيل الرشاد[٣] .

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٦١ ، ٢٦٤) .

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٢٣٤) .

(٣) المرجع السابق (١٨/ ١١٦-١١٧) .

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام :١٥٥] ، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر :٢١] ، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل :١٠١-١٠٣] .

قولـه تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ قال ابن جرير : يعني جل ثناؤه بقولـه : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى نبينا محمد ﷺ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ يقول : فاجعلوه إماماً تتبعونه وتعملون بما فيه أيها الناس ، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ﴾ يقول : واحذروا الله في أنفسكم أن تضيعوا العمل بما فيه ، وتتعدوا حدوده ، وتستحلوا محارمه .

وقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ يقول : لتُرحموا ؛ فتنجوا من عذاب الله وأليم عقابه[1] .

وقال ابن كثير : فيه الدعوة إلى اتباع القرآن ، يرغّب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه ، ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة لأنه حبل الله المتين[2] .

قولـه تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ ، قال ابن جرير : يقول جل ثناؤه ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٥) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٩) .

. . . .

جَبَلٍ﴾ وهو حجر ﴿لَرَأَيْتَهُۥ﴾ يا محمد ﴿خَٰشِعًا﴾ يقول : متذلّلاً ﴿مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ على قساوته ، حذراً من أن لا يؤدّي حقّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن ، وقد أُنزل على ابن آدم ، وهو بحقّه مستخفّ ، وعنه وعمّا فيه من العبر والذكر مُعرض ، كأن لم يسمعها ، كأنّ في أذنيه وقراً ، وساق بسنده عن ابن عباس قوله ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ قال : يقول : لو أني أنزلتُ هذا القرآن على جبل حمّلته إياه ، تصدّع وخشع من ثقله ومن خشية الله ، فأمر الله عز وجل الناسَ إذا أُنزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشّع . قال : كذلك يَضربُ الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون[1] .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره وإذا نسخنا حكم آية ، فأبدلنا مكانه حُكمَ أُخرى ، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ . يقول : والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدّل ويغيرٌ من أحكامه ، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ . يقول : قال المشركون بالله المكذّبو رسوله لرسوله : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿مُفْتَرٍۭ﴾ أي : مكذب ، تخرصُ بتقوُّل الباطل على الله ، يقول الله تعالى : بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد : إنما أنت مفترٍ. جُهَّالٌ بأن الذي تأتيهم به من عند الله ، ناسخه ومنسوخه ، لا يعلمون حقيقة صحته .

قوله تعالى : ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٢/ ٥٤٩).

. . . .

ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد للقائلين لك : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ ، فيما تتلو عليهم من آي كتابنا ، ﴿ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ يقول : قل جاء به جبريل من عند ربي بالحق .

وقوله ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يقول تعالى ذكره : قل نزّل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه روح القدس عليَّ من ربي ، تثبيتاً للمؤمنين ، وتقوية لإيمانهم ؛ ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه إيماناً لإيمانهم ، وهدىً لهم من الضلالة ، وبشرى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله ، وانقادوا لأمره ونهيه ، وما أنزله في آي كتابه، فأقرُّوا بكلِّ ذلك، وصدقوا به قولاً وعملاً .

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون ـ جهلاً منهم ـ : إنما يعلّم محمداً هذا الذي يتلوه بشرٌ من بني آدم ، وما هو من عند الله ، يقول الله تعالى ذكره مكذّبهم في قيلهم ذلك : ألا تعلمون كذب ما تقولون ؟ إن لسان الذي تلحدون إليه أعجمي ، يقول : تميلون إليه بأنه يعلم محمداً أعجمي . وذلك أنهم فيما ذُكِر كانوا يزعمون أن الذي يُعلّم محمداً هذا القرآن عبدٌ رومي ، فلذلك قال تعالى : ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ وهذا القرآن لسان عربي مبين[1] .

* * *

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٣٦٢-٣٦٤) .

وقولـه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ [القيامة] ، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين: ٢٣] ، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ، وقولـه : ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق :٣٥] .

وهذا البابُ في كتابِ الله كَثيرٌ ، مَنْ تَدَبَّرَ القُرآنَ طَالباً للهُدَى منه؛ تَبيَّنَ لَهُ طريقُ الحقِّ .

قولـه تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ يعني : يوم القيامة ، ﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ يقول : حسنة جميلةٌ من النعيم ، يقال من ذلك : نَضُرَ وجهُ فلان، إذا حَسُنَ من النعمة ، ونضَّرَ اللهُ وجهه إذا حسَّنه كذلك .

وساق بسنده عن الحسن في قولـه: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: حسنة ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال : تنظر إلى الخالق ، وحُقَّ لها أن تنضُرَ وهي تنظر إلى الخالق .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألفي سنة » ، قال[1] : « وإن أفضلهم منزلة لمن ينظرُ في وجه الله كلَّ يوم مرَّتين » قال : ثم تلا : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال : بالبياض والصفاء ، قال : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال : « تنظر كلَّ يومٍ في وجه الله عز وجل»[2] .

وقال ابن كثير : وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجـل في الدار الآخرة في

---

(١) في الحديث كما سيمر بك قريباً (وإن أعلاهم منزلة) دون تكرار لفظ قال : (قال) .

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٠٥، ٥٠٧، ٥١٠). والحديث رواه الإمام أحمد رقم (٤٦٢٣) (٨/ ٢٤٠) ، والترمذي (٢٥٥٣، ٣٣٣٠) .

. . . .

الأحاديث الصحاح ، من طرق متواترة عند أئمة الحديث ، لا يمكن دفعها ولا منعها ؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة في الصحيحين : أنَّ ناساً قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربَّنا يوم القيامة ؟ فقال : « هل تُضارُّون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحابة؟ » قالوا : لا . قال : « فإنكم ترون ربَّكم كذلك »[1] .

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « جنَّتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنَّتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عز وجل إلاَّ رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[2][3] .

قوله تعالى : ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ قال ابن جرير : يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ على السرر في الحجال من اللؤلؤ والياقوت ، ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم والحبور في الجنات[4] .

وقال على قوله تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره : ﴿ فَٱلْيَوْمَ ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله في الدنيا ﴿ مِنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾ فيها ﴿يَضْحَكُونَ﴾ ، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ يقول : على سررهم التي في الحجال ينظرون إليهم وهم في الجنة ، والكفار

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٧ ، ٧٤٣٨) ، ومسلم (١٨٢) .
(٢) رواه البخاري (٧٤٤٤) ، ومسلم (١٨٠) .
(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٩-٢٨٠) .
(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٢١٣) .

. . . .

في النار يُعذَّبون[١] .

وقال في قولـه تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ أي : محجوبون عن رؤيته وعن كرامته[٢] .

وقال ابن كثير في تفسير قولـه تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ أي : يوم القيامة هم في نعيم مقيم ، وجنات فيها فضلٌ عميم ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ وهي : السرر تحت الحجال ، ﴿ يَنظُرُونَ ﴾ قيل : معناه : ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد ، وقيل : معناه ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ إلى الله عز وجل . وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم ، كما تقدم في حديث ابن عمر : « **إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله عز وجل في اليوم مرتين**»[٣] .

وقال أيضاً : ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ أي : في مقابلة ما ضحك بهم أولئك ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ أي : إلى الله عز وجل ، في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ، ليسوا بضالين ؛ بل هم من أولياء الله المقربين ،

---

(١) المرجع السابق (٢٤/ ٢٢٧) .

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٠٦) .

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٢) . وقد تقدم تخريجه ص٩٦ .

. . . .

ينظرون إلى ربهم في دار كرامته[١] .

قولـه تعالى : ﴿ ۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ الحسنى هي الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل ، وهذا قول أبي بكر الصديق وغيره من السلف والخلف .

قال ابن جرير : إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنَّة ، وأن يبيِّض وجوههم ، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ، ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه ، وأن يعطيهم غُرفاً من لآلىء ، وأن يزيدهم غفراناً ورضواناً ، كل ذلك من زيادات عطاءِ اللهِ إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته[٢] .

قولـه تعالى : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ قال ابن جرير : وقوله : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ يقول : لهؤلاء المتقين ما يُريدون في هذه الجنة التي أُزلفت لهم من كل ما تشتهيه نفوسهم وتلذُّه أعينهم، وقوله : ﴿ وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ يقول : وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جلَّ ثناؤه صفتها مزيدٌ يزيدهم إيّاه ، وقيل : إن ذلك المزيد النظر إلى الله جل ثناؤه .

ذكرُ من قال ذلك : حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي قال : حدثنا قرة بن عيسى قال : حدثنا النضر بن عربي عن جده عن أنس : « إن الله عز وجل

---

(١) المرجع السابق (٨/ ٣٥٤) .

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ١٦٤-١٦٥) .

. . . .

إذا أسكن أهلَ الجنةِ الجنةَ وأهلَ النارِ النارَ ، هبط إلى مرج من الجنة أفيح ، فمدَّ بينه وبين خلقه حُجُباً من لؤلؤ ، وحُجباً من نور ، ثم وضعت منابر النور، وسُرُر النور ، وكراسي النور ، ثم أُذِن لرجلٍ على الله عز وجل .. إلى أن قال : ثم ناداهم الرب عز وجل من وراء الحُجُب : مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي ، أكلوا وشربوا وفكهوا وكُسُوا وطيبوا ، وعزتي لأتجلينَّ لهم حتى ينظروا إليّ . فذلك انتهاء العطاء وفضل المزيد . قال : فتجلّى لهم الرب عز وجل ثم قال : السلام عليكم عبادي ، انظروا إليَّ فقد رضيت عنكم» الحديث[١] .

وقال البغوي : ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾ ، وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاؤوا ، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه ، وهو قوله : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ، يعني الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم .

وقال جابر وأنس : هو النظر إلى وجه الله الكريم[٢] .

* * *

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٤٥-٤٥٧). قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٨٥) : فيه غرائب كثيرة .

(٢) تفسير البغوي (ص١٢٣٠) .

فصل
في سنة رسول الله ﷺ

فالسُّنَّةُ تُفسِّرُ القرآنَ ، وتُبيِّنُه ، وتدُلُّ عليه ، وتُعبِّر عنه .

وما وَصَفَ الرسُولُ به ربَّه عزَّ وجَلَّ مِنَ الأحاديث الصِّحَاح التي تلقَّاها أهلُ المعرفةِ بالقبول؛ وَجَبَ الإيمانُ بها كذلك :

مثل قولـه ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كل حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» . متفق عليه[١] .

وقولـه ﷺ : «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عبده [المؤمن التائب] مِنْ أَحَدِكُم بِرَاحِلَتِهِ». متفق عليه[٢] .

وقولـه ﷺ : «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاَهُمَا يَدْخُلاَن الْجَنَّةَ». متفق عليه[٣] .

وقولـه ﷺ: « عَجِبَ رَبُّنا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وقُرْبِ غِيَرِهِ ، يَنْظُرُ إليكم أَزِلِينَ قَنِطِينَ ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُم قَرِيبٌ» حديث حسن[٤] .

وقولـه ﷺ: «لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وهي تَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رجْلَهُ ، وفي رواية : عَلَيها قَدَمَهُ ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَقُولُ : قَطْ قَطْ». متفق عليه[٥] .

---

(١) رواه البخاري (٧٤٩٤) ، ومسلم (٧٥٨) .

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٩) ، ومسلم (٢٧٤٤، ٢٧٤٧) .

(٣) رواه البخاري (٢٨٢٦) ، ومسلم (١٨٩٠) .

(٤) رواه الإمام أحمد (١٦٢٨٨) ، وابن ماجه (١٨١) بلفظ : « ضحك ربنا » .

(٥) رواه البخاري (٤٨٤٨) ، ومسلم (٢٨٤٨) .

وقوله ﷺ : « يَقُولُ اللَّهُ تعالى : يَا آدَمُ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ . فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إِلَى النَّارِ». متفق عليه(١) .

وقوله: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»(٢) .

قال البغوي في « شرح السنة » : القَدم والرِجْل المذكوران في هذا الحديث من صفات الله المنزَّهة عن التكييف والتشبيه ، وكذلك كلُّ ما جاء من هذا القبيل في الكتاب والسنة كاليد والإصبع وغيرها ، فالإيمان بها فرضٌ ، والامتناع عن الخوض فيها واجب ، فالمهتدي يسلك فيها طريق التسليم ، والخائض فيها زائغ ، والمنكر معطِّل ، والمكيِّف مشبِّه ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ . انتهى(٣) .

وقال الوليد بن مسلم : سألت الأوزاعي ، ومالك ، والثوري ، والليث بن سعد ، عن الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا : أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف .

وقال إسحاق بن راهويه : إنما يكون التشبيه لو قيل له يدٌ كيدٍ وسمعٌ كسمعٍ .

وقال ابن عبدالبر : أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ، ولم يكيِّفوا شيئاً منها ، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا : من أقرَّ بها فهو مشبِّه ؛ فسماهم من أقرَّ بها معطِّلة . انتهى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

---

(١) رواه البخاري (٧٤٨٣) ، ومسلم (٢٢٢) .

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٩) ، ومسلم (١٠١٦) .

(٣) انظر : شرح السنة للبغوي (١/ ١٧٠-١٧١) .

وقولـه في رُقيَةِ المريض : «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ ، اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا أَنتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ ، أَنزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأ» . حديث حسن رواه أبوداود وغيره[1] .

وقولـه : «ألاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ» حديث صحيح[2] .

وقولـه : «والعرشُ فوقَ الماءِ ، واللهُ فوقَ العرشِ ، وهو يعلمُ ما أنتم عليه » . حديث حسن ، رواه أبوداود وغيره[3] .

وقولـه للجارية: «أينَ اللهُ؟». قالت : في السماء . قال : «مَنْ أنا ؟» . قالت : أنتَ رسولُ الله . قال : «أعتِقها فإنّها مؤمنة» . رواه مسلم[4] .

قال البخاري : باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود : ٧] ، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة : ١٢٩] قال أبوالعالية : استوى إلى السماء : ارتفع فسوَّاهن : خلقهن . وقال مجاهد : استوى : علا على العرش[5] .

قال الحافظ : وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في كتاب « الفاروق » بسنده

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٤٤٥٧) (٦/ ٢٠) ، وأبوداود (٣٨٩٢) .

(٢) رواه البخاري (٤٣٥١) ، ومسلم (١٠٦٤) .

(٣) رواه أبوداود (٤٧٢٣) ، وأحمد (١/ ٢٠٦) .

(٤) رواه مسلم برقم (٥٣٧) .

(٥) البخاري مع الفتح (٨/ ٤١٤) باب (٢٢) كتاب التوحيد .

. . . .

إلى داود بن علي بن خلف قال : كنا عند أبي عبدالله ابن الأعرابي ـ يعني محمد بن زياد اللغوي ـ فقال له رجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ؟ فقال : هو على العرش كما أخبر . فقال : يا أبا عبدالله ، إنما معناه استولى . فقال : اسكت ، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضادٌّ . وقال غيره : لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش لأنه غالبٌ على جميع المخلوقات .

ونقل محيي السنة البغوي في « تفسيره » عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه : ارتفع . وقال أبو عبيد والفرّاء وغيرهما بنحوه .

وأخرج أبو القاسم اللالكائي في « كتاب السنة » من طريق الحسن البصري عن أمّه عن أمّ سلمة أنها قالت : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإقرار به إيمان ، والجحود به كفر .

وأخرج البيهقي بسندٍ جيد عن الأوزاعي قال : كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله على عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته . انتهى[١] .

وقال في «شرح الطحاوية» : «روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه « الفاروق»، بسنده إلى مطيع البلخي : أنه سأل أبا حنيفة عمَّن قال : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ! فقال : قد كفر ؛ لأن الله يقول : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ وعرشه فوق سبع سمواته . قلت : فإن قال : إنه على العرش ، ولكن يقول : لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أنه في السماء ، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر[٢] .

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٤٩٩-٥٠٠) طبعة دار السلام .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٦٧) تحقيق أحمد شاكر ، دار الإفتاء .

وقولـه : « أفضلُ الإيمانِ أن تعلمَ أنَّ اللهَ معك حيثما كنت » . حديث حسن[١] .

وقولـه : « إذا أقام أحدُكم إلى الصَّلاةِ ؛ فلا يَبصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِه ، ولا عَنْ يَمينِهِ؛ فإنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ ، ولكن عَنْ يَسارِه ، أو تحتَ قدمِه». متفق عليه[٢] .

وقولـه ﷺ : « اللهمَّ ربَّ السماوات السَّبعِ والأرضِ ، وربَّ العرشِ العظيمِ ، ربَّنا وربَّ كلِّ شيء ، فالقَ الحبِّ والنَّوى ، مُنـزِلَ التوراةِ والإنجيلِ والقرآن ، أعوذُ بكَ مِنْ شرِّ نفسي ، ومِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ أنتَ آخِذٌ بناصيتِها ، أنتَ الأوَّلُ فليس قَبْلَكَ شيء ، وأنتَ الآخِرُ فلَيسَ بعدَكَ شَيءٌ ، وأنتَ الظاهِرُ فليس فوقَك شَيءٌ ، وأنتَ الباطنُ فليسَ دونكَ شيءٌ ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وأغْنِني مِنَ الفقرِ ». رواه مسلم[٣] .

وقولـه ﷺ لما رَفَعَ الصحابةُ أصواتَهم بالذكر : «أيُّها النَّاس ، ارْبَعُوا على أنفسِكُم ؛ فإنَّكم لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولا غَائباً ، إنما تدْعُون سَميعاً بَصيراً قَريباً ، إن الذي تدْعُونه أقربُ إلى أحدِكُم من عُنُقِ راحلتِه». متفق عليه[٤] .

وقولـه : « إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ ليلَةَ البَدْرِ ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ استَطَعْتُمْ ألاَّ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافعَلُوا». متفق عليه[٥] .

إلى أمثالِ هذه الأحاديث التي يُخبِرُ فيها رسولُ الله ﷺ عن ربِّه بما

---

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٠٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٤) .

(٢) رواه البخاري (٤٠٥) ، ومسلم (٥٤٧) .

(٣) رواه مسلم برقم (٢٧١٣) .

(٤) رواه البخاري (٦٦١٠) ، ومسلم (٢٧٠٤) .

(٥) رواه البخاري (٥٥٤) ، ومسلم (٦٣٣) .

يُخبرُ به؛ فإنَّ الفرقَةَ النَّاجيةَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة يُؤمنُون بذلك؛ كما يُؤمنون بما أخبرَ اللهُ به في كتابه؛ مِنْ غَيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ ، ومِنْ غيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ ، بل همُ الوَسَطُ في فِرَقِ الأُمَّة ، كما أنَّ الأُمَّةَ هي الوَسَطُ في الأُمَم .

فَهُمْ وَسَطٌ في بابِ صفاتِ الله سبحانه وتعالى بينَ أهلِ التعطيلِ الجهميةِ وأهْلِ التمثيلِ المشَبِّهَةِ.

وهم وَسَطٌ في بابِ أفعالِ الله بينَ الجَبْرِيَّةِ والقَدَرِيَّةِ وغيرِهم .

وفي بابِ وعيدِ الله بينَ المرجِئَةِ والوَعِيدِيَّةِ مِنَ القَدَرِيَّة وغيرِهم .

وفي باب أسماءِ الإيمانِ والدِّينِ بين الحَرُورِيَّةِ والمعتزلَةِ وبينَ المُرجِئَةِ والجهميَّة .

وفي أصحابِ رسولِ الله ﷺ بين الرَّافضَةِ والخوارج .

قال في « فتح الباري » في أول كتاب التوحيد : قال ابن حزم في كتاب «الملل والنحل» : فِرَق المقرّين بملة الإسلام خمس : أهل السنة ، ثم المعتزلة ومنهم القدرية ، ثم المرجئة ومنهم الجهمية والكرَّامية ، ثم الرافضة ومنهم الشيعة ، ثم الخوارج ومنهم الأزارقة والإباضية ، ثم افترقوا فرقاً كثيرة ، فأكثر افتراق أهل السنة في الفروع ، وأما في الاعتقاد ففي نُبَذٍ يسيرة ، وأما الباقون ففي مقالاتهم ما يخالف أهل السنة الخلاف البعيد والقريب .

فأقرب فرق المرجئة من قال : الإيمان التصديق بالقلب واللسان فقط ، وليست العبادة من الإيمان ، وأبعدهم الجهميَّة القائلون بأن الإيمان عقدٌ بالقلب فقط وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه و عبد الوثن من غير تقية ، والكُرَّامية القائلون بأن الإيمان قولٌ باللسان فقط وإن اعتقد الكفر بقلبه ... ـ وساق الكلام على بقية الفرق ، ثم قال ـ : ... فأمَّا المرجئة فعمدتهم

. . . .

الكلام في الإيمان والكفر فمن قال: إن العبادة من الإيمان ، وأنه يزيد وينقص ولا يكفّر مؤمناً بذنب ، ولا يقول أنه يخلد في النار فليس مرجئاً ، ولو وافقهم في بقية مقالاتهم .

وأما المعتزلة فعمدتهم الكلام في الوعد والوعيد والقدر ، فمن قال : القرآن ليس بمخلوق ، وأثبت القدر ورؤية الله تعالى في القيامة ، وأثبت صفاته الواردة في الكتاب والسنة ، وأن صاحب الكبائر لا يخرج بذلك عن الإيمان فليس بمعتزلي ، ولو وافقهم في سائر مقالاتهم ... ـ وساق بقية ذلك إلى أن قال ـ : ... وأما الكلام فيما يوصف الله به فمشترك بين الفرق الخمس من مثبتٍ لها ونافٍ ، فرأس النفاة المعتزلة والجهمية فقد بالغوا في ذلك حتى كادوا يعطّلون ، ورأس المثبتة مقاتل بن سليمان ومن تبعه من الرافضة والكُرَّامية فإنهم بالغوا في ذلك حتى شبهوا الله تعالى بخلقه تعالى الله سبحانه عن أقوالهم علواً كبيراً ، ونظير هذا التباين قول الجهمية أن العبد لا قدرة له أصلاً ، وقول القدرية أنه يخلق فعل نفسه . انتهى[١] .

وقال القرطبي في شرح حديث «أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصِم»[٢] : هذا الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ، وردّه بالأوجه الفاسدة ، والشُّبه الموهمة ، وأشدُّ ذلك الخصومة في أصول الدين ، كما يقع لأكثر المتكلّمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ وسلف أُمّته ، إلى طرق مبتدعة ، واصطلاحات مخترعة ،

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٤٢٣-٤٢٤) ط. دار السلام .

(٢) رواه البخاري (٢٤٥٧) ، ومسلم (٢٦٦٨) .

. . . .

وقوانين جدليّة ، وأمور صناعية ، مدار أكثرها على آراء سُوفسطائية ، أو مناقضات لفظية ، ينشأ بسببها على الآخذ فيها شُبَـه ربما يعجز عنها ، وشكوكٌ يذهب الإيمان معها ، وأحسنهم انفصالاً عنها أجدلهم لا أعلمهم ، فكم من عالمٍ بفساد الشبهة لا يقوى على حلها ، وكم من منفصلٍ عنها لا يدرك حقيقة علمها ، ثم إن هؤلاء قد ارتكبوا أنواعاً من المحال لا يرتضيها البُله ولا الأطفال ، لما بحثوا عن تحيُّز الجواهر والألوان والأحوال ، فأخذوا فيما أمسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلقات صفة الله تعالى .... ـ إلى أن قال ـ : ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات ، ومن توقف في هذا فليعلم أنه إذا كان عجز عن كيفية نفسه مع وجودها ، وعن كيفية إدراك ما يدركُ به ، فهو عن إدراك غيره أعجز ، وغاية علم العالم أن يقطع بوجود فاعل لهذه المصنوعات منزَّهٌ عن الشبيه ، مقدس عن النظير ، متصف بصفات الكمال ، ثم متى ثبت النقل عنه بشيء من أوصافه وأسمائه قبلناه واعتقدناه وسكتنا عما عداه ، كما هو طريق السلف ، وما عداه لا يأمن صاحبه من الزلل، ويكفي في الردع عن الخوض في طرق المتكلمين ما ثبت عن الأئمة المتقدمين كعمر بن عبدالعزيز ومالك بن أنس والشافعي ، وقد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا في الجوهر والعَرَض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين ، فمن رغب عن طريقهم فكفاه ضـــلالاً ـ قال ـ : وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك ، وببعضهم إلى الإلحاد ، وببعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات ، وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع ، وتطلُّبهم حقائق الأمور من غيره ، وليس في قوة العقل ما

. . . .

يدرك ما في نصوص الشارع من الحِكم التي استأثر بها ، وقد رجع كثير من أئمتهم عن طريقهم ، حتى جاء عن إمام الحرمين أنه قال : ركبتُ البحر الأعظم ، وغصتُ في كلِّ شيءٍ نهى عنه أهل العلم في طلب الحق فراراً من التقليد ، والآن فقد رجعتُ واعتقدتُ مذهب السلف . انتهى[١] .

* * *

(١) نقله المؤلف من فتح الباري (١٣/ ٤٢٧-٤٢٨)، وهو في المفهم (٦/ ٦٩٠-٦٩١).

فصل

وقد دخلَ فيما ذكرناه مِنَ الإيمان بالله الإيمانُ بما أخبرَ اللهُ به في كتابه، وتواترَ عَنْ رسولِهِ ، وأجمعَ عليه سلفُ الأمَّةِ؛ مِنْ أنَّه سبحانه فوقَ سماواتِهِ على عرشِهِ ، عَلِيٌّ على خلقِهِ ، وهو سبحانه معهم أينما كانوا، يعلمَ مَا هُم عاملون؛ كما جمع بين ذلك في قوله : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد :٤] .

وليسَ معنى قَولِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ : أنَّه مختَلِطٌ بالخَلْقِ ؛ فإنَّ هذا لا تُوجبُهُ اللُّغَةُ ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بلِ القمرُ آيةٌ من آياتِ اللهِ مِنْ أصغرِ مخلُوقاتِهِ ، وهُو موضوعٌ في السمَاءِ ، وهُو مع المسافِرِ وغيرِ المسافر أينما كان .

وهُوَ سبحانَه فوقَ عرشِهِ ، رَقيبٌ على خَلْقِهِ ، مُهَيمِنٌ عَلَيهم ، مُطَّلِعٌ عليهم... إلى غيرِ ذلك مِنْ مَعاني رُبُوبِيَّتِهِ .

وكُلُّ هذا الكَلامِ الذي ذكَرَه اللهُ ـ من انَّـهُ فوقَ العرشِ ، وأنَّهُ مَعَنا ـ حقٌّ عَلَى حقيقَتِهِ ، لا يحتاجُ إلى تحريفٍ ، ولكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنون الكاذبةِ؛ مثل انْ يُظَنَّ انَّ ظاهرَ قولِـهِ : ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ : أنَّ السَّماءَ تُظِلُّه أوْ تُقِلُّهُ ، وهذا باطِلٌ بإجماعِ أهلِ العِلْمِ والإيمان؛ فإنَّ اللهَ قد وَسِعَ كرسيُّه السماواتِ والأرضَ ، وهو يُمسِكُ السماواتِ والأرضَ أنْ تَزُولا ، ويُمسِك السماءَ أنْ تَقَعَ على الأرضِ إلاَّ بإذنهِ ، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره.

فصل

وقد دَخلَ في ذلك: الإيمانُ بأنَّه قَرِيبٌ مُجيبٌ ؛ كما جَمَعَ بينَ ذلك في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية [البقرة :١٨٦]، وقوله ﷺ :

«إنَّ الذي تدْعُونه أقْرَبُ إلى أحدِكُم مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»[1] .

وما ذُكر في الكتابِ والسُّنَّةِ مِنْ قُرْبهِ ومَعِيَّتِهِ لا يُنافِي ما ذكَرَ مِنْ عُلُوِّهِ وفَوقيته ، فإنَّه سُبحانه ليسَ كَمثلِهِ شيءٌ في جَميعِ نُعُوتِهِ ، وهو عليٌّ في دُنُوِّهِ ، قَرِيبٌ في عُلُوِّهِ .

فصل

ومِنَ الإيمان باللهِ وكُتُبه : الإيمانُ بأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ ، مُنَزَّلٌ ، غَيْرُ مخلُوقٍ ، منه بَدَأَ ، وإليه يَعودُ ، وأنَّ اللهَ تكلَّمَ به حقيقةً ، وأنَّ هذا القرآنَ الذي أنزَلَهُ على مُحَمَّد ﷺ هُوَ كلامُ اللهِ حقيقةً ، لا كلامَ غيرِهِ .

ولا يجوزُ إطلاقُ القولِ بأنَّه حكايةٌ عَن كَلامِ اللهِ ، أو عبارةٌ عنه ، بل إذا قرَأَهُ النَّاسُ أو كتبوه في المصاحفِ؛ لم يَخرُجْ بذلك عن أن يكون كَلامَ اللهِ تعالى حقيقةً ، فإنَّ الكلامَ إنَّمَا يُضافُ حقيقةً إلى مَنْ قالَهُ مُبتدِئاً ، لا إلى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغاً مُؤَدِّياً . وهو كَلامُ اللهِ ، حُروفُه ، ومعانيه ، ليسَ كلامُ اللهِ الحروفَ دون المعاني ، ولا المعانيَ دونَ الحروفِ .

فصل

وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه مِنَ الإيمانِ به وبكتبه وبملائكتِه وبرسُلِهِ : الإيمانُ بأنَّ المؤمنين يرَوْنَه يومَ القيامةِ عَياناً بأبصارهم كما يرون الشَّمسَ صَحْواً ليس بها سحابٌ ، وكما يَرَوْنَ القَمرَ ليلةَ البدرِ لا يُضامُّونَ في رُؤيتِهِ. يَرَوْنَه سبحانه وهم في عَرَصَاتِ القيامةِ ، ثم يَرَوْنَه بعدَ دخولِ الجنَّةِ؛ كما يشاءُ اللهُ تعالى .

فصل

ومِنَ الإيمانِ باليومِ الآخِرِ الإيمانُ بكلِّ ما أخبرَ به النبيُّ ﷺ مِمَّا يكونُ

---

(١) تقدم تخريجه ، وهو متفق عليه .

بعدَ الموتِ ، فيؤمنونَ بفتنةِ القبرِ ، وبعذابِ القبرِ ونعيمِهِ .

فأمَّا الفتنةُ؛ فإنَّ النَّاسَ يُمتحَنُونَ في قُبورهم ، فيُقالُ للرجلِ: مَنْ ربُّكَ؟ ومَا دينُكَ؟ ومَنْ نبيُّكَ؟. فيُثبِّتَ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ ، فيقولُ المؤمنُ : ربِّيَ اللهُ ، والإسلامُ ديني ، ومحمدٌ ﷺ نبيِّي .

وأمَّا الـمُرْتابُ ؛ فيقولُ : هاه هاه ، لا أدري ، سمعتُ النَّاسَ يقولونَ شيئاً فقلتُه ، فيُضْرَبُ بـمَرْزَبَةٍ مِنْ حديدٍ ، فيَصيحُ صَيحةً يسمعُها كُلُّ شيءٍ إلا الإنسانَ؛ ولو سمِعَها لصَعِقَ .

ثم بعدِ هذه الفتنة : إمَّا نعيمٌ وإمَّا عذابٌ ، إلى أنْ تقومَ القيامةُ الكُبرى ، فتُعادُ الأرواحُ إلى الأجسادِ ، وتقومُ القيامَةُ التي أخبرَ اللهُ بها في كتابه ، وعلى لسانِ رسولِهِ ، وأجْمَعَ عليها المسلمونَ ، فيقومُ النَّاسُ مِنْ قبورهم لربِّ العالمِينَ حُفاةً عُراةً غُرْلاً ، وتدنو منهم الشمسُ ، ويُلْجِمُهُم العرَقُ .

فتُنصَبُ الموازينُ ، فتُوزَنُ بها أعمالُ العباد : ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون] .

وتُنشرُ الدَّواوينُ ، وهِيَ صَحَائفُ الأعمال ، فآخِذٌ كتابَه بيمينِهِ ، وآخِذٌ كتابَه بشمالِهِ أو مِنْ وَرَاءِ ظهره ؛ كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء] . ويُحاسِبُ اللهُ الخلائقَ ، ويخْلُو بعَبْدِهِ المؤمن ، فيُقرِّرُهُ بذنوبه ؛ كما وصَفَ ذلك في الكتابِ والسُّنَّة .

وأمَّا الكفَّارُ فلا يُحَاسَبُون محاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حسناتُه وسيئاتُه؛ فإنَّه لا حسناتَ لهم ، ولكن تُعَدُّ أعمالُهم فتُحْصَى ، فيُوقَفُون عليها ، ويُقَرَّرُونَ عليها ، ويجزون عليها .

وفي عَرَصَاتِ القِيامَةِ الحوضُ المورُودُ للنَّبيِّ ﷺ ، مَاؤُه أشَدُّ بياضاً مِنَ اللَّبَنِ ، وأحْلَى مِنَ العَسَلِ ، آنِيَتُه عددُ نجومِ السَّماءِ ، طولُه شهرٌ ، وعرضُه شهرٌ ، مَنْ يشربُ منه شَرْبَةً ؛ لا يَظْمأُ بعدَها أبداً .

والصراطُ المنصوبُ على مَتْنِ جهنَّمَ ، وهُو الجسرُ الذي بين الجنةِ والنارِ ، يَمُرُّ النَّاسُ على قَدْرِ أعمالِهم ، فمنهم مَنْ يَمُرُّ كلَمْحِ البَصَرِ ، ومُنهم مَنْ يَمرُّ كالبرقِ ، ومنهم من يَمُرُّ كالرِّيحِ ، ومنهم مَنْ يَمُرُّ كالفرسِ الجوادِ ، ومنهم مَنْ يَمُرُّ كرِكَابِ الإبلِ، ومنهم من يَعْدُو عَدْواً ، ومنهم مَنْ يَمشي مَشْيَاً ، ومُنهم مَنْ يزحَفُ زحْفَاً ، ومنهم مَنْ يُخْطَفُ خَطْفَاً ويُلْقَى في جَهَنَّمَ؛ فإنَّ الجسرَ عليه كَلاليبُ تَخْطَفُ الناسَ بأعمالهم .

فمَنْ مَرَّ على الصِّراطِ دَخَلَ الجنَّةَ ، فإذا عَبَرُوا عليه؛ وَقَفُوا على قَنْطَرَةٍ بين الجنةِ والنارِ ، فيُقتصُّ لبعضهم من بعض ، فإذا هُذِّبُوا ونُقُّوا؛ أُذِنَ لهم في دخولِ الجنَّةِ .

وأوَّلُ من يَسْتَفْتِحُ بابَ الجنَّةِ محُمَّدٌ ﷺ ، وأوَّلُ مَنْ يدخُلُ الجنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ .

ولَهُ ﷺ [في القيامَةِ][1] ثلاثُ شفاعَاتٍ :

أمَّا الشفاعةُ الأولى : فيَشْفَعُ في أهلِ الموقِفِ حتَّى يُقْضَى بينهم بعدَ أن

---

(١) ليست في المخطوط ، وقد أضفتها من بعض النسخ المطبوعة .

يتراجَعَ الأنبياءُ ـ آدمُ ، ونوحٌ ، وإبراهيمُ ، وموسى ، وعيسى ابنُ مريمَ ـ عَنِ الشَّفَاعَةِ حتى تنتَهِيَ إليه .

وأمَّا الشَّفاعةُ الثانيةُ : فيَشْفَعُ في أهلِ الجنَّةِ أنْ يدخُلُوا الجنَّةَ .

وهاتان الشَّفَاعَتان خاصَّتان لَه .

وأمَّا الشَّفاعةُ الثالثةُ : فيَشْفَعُ فيمَن استَحقَّ النَّارَ ، وهذه الشفاعةُ له ولسائرِ النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ وغيرهم ، فيشفعُ فيمَن استحقَّ النارَ ألاَّ يدخلها ، ويشفعُ فيمن دخلها أن يخرج منها .

ويُخرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أقواماً بغيرِ شفاعةٍ ؛ بَلْ بفضلِه ورحمتِه ، ويبقَى في الجنَّةِ فضلٌ عَمَّنْ دَخَلَها مِنْ أهْلِ الدُّنيا ، فيُنْشِئ اللهُ لَهَا أقْواماً ، فيُدْخِلهُمُ الجنَّةَ .

وأصنافُ ما تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخرةُ مِنْ الحسابِ والثَّوابِ والعقابِ والجنَّةِ والنَّارِ وتفاصيل ذلك مذكورةٌ في الكتب المنزَّلةِ مِنَ السَّمَاءِ ، والآثارِ مِنَ العلمِ المأثورِ عَنِ الأنبياءِ ، وفي العِلْمِ الموروثِ عَنْ محمَّدٍ ﷺ مِنْ ذلك ما يَشفِي ويَكفي ، فمَنِ ابتغاهُ وَجدَه .

وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره.

والإيمانُ بالقَدَرِ على دَرَجتين ، كُلُّ درجةٍ تتضمن شيئين .

فالدرجة الأولى : الإيمانُ بأنَّ اللهَ تعالى عَليمٌ بالخَلْقِ ، وهم عاملونَ بعِلْمِه القديمِ ، الذي هو موصوفٌ به أزلاً وأبَداً ، وعَلِمَ جميعَ أحوالِهم مِنَ الطَّاعاتِ والمعاصي والأرزاقِ والآجالِ .

ثمَّ كَتَبَ اللهُ في اللوحِ المحفوظِ مَقاديرَ الخلق ؛ فأوَّلُ ما خلَقَ اللهُ القلمَ؛ قال له : اكْتُبْ. قال : ما أَكْتُبُ ؟ . قال : اكْتُبْ ما هُوَ كائنٌ إلى يومِ

القِيامَةِ .

فما أصابَ الإنسانَ لم يكُنْ ليُخْطِئَه ، وما أخطَأَهُ لم يكُنْ ليُصِيبَه ، جفَّتِ الأقلامُ ، وطُويَتِ الصُّحُفُ؛ كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج : ٧٠] ، وقال : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد :٢٢] .

وهذا التقديرُ التَّابعُ لعِلْمِه سبحانه يكونُ في مواضعَ جملةً وتفصيلاً؛ فقد كَتَبَ في اللَّوحِ المحفوظِ ما شاءَ .

وإذا خَلَقَ جَسَدَ الجنينِ قبلَ نفْخِ الرُّوحِ فيه؛ بَعَثَ إليه مَلَكاً ، فيُؤْمَرُ بأربعِ كلماتٍ ، فيُقال له: اكْتُبْ: رِزْقَه ، وأجَلَه ، وعمَلَه ، وشقيٌّ أم سعيدٌ. ونحو ذلك ، فهذا التَّقديرُ قد كان يُنكِرُه غُلاةُ القَدَريَّةِ قديماً ، ومُنكِرُوه اليومَ قليلٌ .

وأما الدَّرجَةُ الثانيةُ : فهِيَ مشيئةُ اللهِ النَّافِذةُ ، وقُدرَتُه الشَّاملة ، وهو : الإيمانُ بأنَّ ما شَاءَ اللهُ كانَ ، وما لم يَشَأْ لم يكُنْ ، وأنَّه ما في السَّماوات وما في الأرضِ مِنْ حركةٍ ولا سُكونٍ؛ إلا بمشيئةِ اللهِ سبحانه ، لا يكون في مُلْكِه ما لا يريدُ ، وأنَّه سبحانه على كلِّ شيءٍ قديرٌ مِنَ الموجوداتِ والمعدوماتِ ، فما مِنْ مخلوقٍ في الأرضِ ولا في السَّماء إلا الله خالِقُه سبحانه ، لا خالِقَ غيرُه ، ولا رَبَّ سواه .

ومع ذلك؛ فقد أمرَ العبادَ بطَاعتِهِ وطاعَةِ رُسُلِه ، ونهاهُم عَنْ معصيتِهِ .

وهُوَ سبحانه يحبُّ المتَّقينَ والمحسنينَ والمُقْسطينَ ، ويرضَى عَنِ الَّذين آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ ، ولا يُحِبُّ الكافرينَ ، ولا يَرضَى عَنْ القَومِ

الفاسقينَ ، ولا يَأمُرُ بالفَحْشاءِ ، ولا يَرضَى لعبادِهِ الكُفْرَ ، ولا يُحِبُّ الفَسَادَ .

والعبادُ فاعِلُونَ حقيقةً ، واللهُ خَالقُ أفعَالِهم .

والعبدُ هو : المؤمِنُ ، والكافِرُ ، والبَرُّ ، والفَاجِرُ ، والمصلِّي ، والصائمُ .

وللعبادِ قدرةٌ على أعمالِهم ، ولهم إرادةٌ ، واللهُ خالِقُهم وقُـدرتُهم وإرادتُهم؛ كما قال تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير :٢٨-٢٩] .

وهذه الدرجةُ مِنَ القَدَرِ يُكَذِّبُ بها عَامَّةُ القَدَريَّةِ الذين سمَّاهُم النَّبيُّ ﷺ مجوسَ هذه الأُمَّةِ ، ويَغْلُو فيها قومٌ مِنْ أهلِ الإثباتِ ، حَتَّى سَلَبُوا العَبدَ قُدرَتَه واختيارَه ، ويُخرِجُون عَنْ أفعالِ اللهِ وأحكامِهِ حِكَمَهَا ومَصالِحَها .

قوله : « الذين سماهم النبي ﷺ » يشير إلى ما أخرجه أحمد عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «لكل أمة مجوس ، ومجوس أمتي الذين يقولون: لا قدر ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[١] .

* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد (٩/ ٤١٥) رقم (٥٥٨٤) طبعة مؤسسة الرسالة ، وأخرجه أبوداود (٤٦٩١) ، والحاكم (١/ ٨٥) ، وابن أبي عاصم في السنة (٣٣٩) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢٢٧) قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ : حديث حسن وإسناده ضعيف .

فصل

ومِنَ أُصولِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة : أنَّ الدِّينَ والإيمانَ قَوْلٌ وعَمَلٌ ، قولُ القَلبِ واللسانِ ، وعملُ القلبِ واللسانِ والجوارحِ .

وأنَّ الإيمانَ يزيدُ بالطاعةِ ، وينقُصُ بالمعصيةِ .

وهُم مع ذلك لا يُكفِّرُونَ أهلَ القبلةِ بمطلَقِ المعاصي والكبائر؛ كما يفعلُه الخوارجُ ، بلِ الأُخُوَّةُ الإيمانيَّةُ ثابتةٌ مَعَ المعاصي؛ كما قال سبحانه: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة :١٧٨] ، وقال : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات ٩-١٠] .

ولا يَسْلُبُونَ الفاسقَ المِلِّيَّ الإسلامَ بالكُلِّيَّةِ ، ولا يُخَلِّدُونه في النار؛ كما تقولُ المعتزلةُ ، بل الفَاسِقُ يدخلُ في اسمِ الإيمانِ ؛ كما في قولـه : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء :٩٢] ، وقد لا يدخلُ في اسمِ الإيمانِ المطلقِ؛ كما في قولِه تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال :٢] .

وقولـه ﷺ : «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[1] .

ونقولُ : هو مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ ، أو مؤمنٌ بإيمانِه ، فاسقٌ بكبيرتِهِ ،

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥، ٥٥٧٨) ، ومسلم (٥٧) .

فلا يُعطَى الاسمَ المطلقَ ، ولا يُسلَبُ مطلَقَ الاسمِ .

فصل

ومِنْ أصولِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ : سَلامَةُ قُلوبِهم وألسِنَتِهم لأصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، كما وصَفَهمُ الله به في قولـه تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر :١٠] ، وطاعةُ النَّبيِّ ﷺ في قوله : « لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ »[1] .

ويَقبلُون ما جاءَ به الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماعُ مِنْ فضائِلِهم ومرَاتِبِهم .

ويُفَضِّلُون مَنْ أنفقَ مِنْ قبلِ الفَتْحِ ـ وهُو صُلْحُ الحُدَيبية ـ وقاتلَ على مَنْ أنفقَ مِنْ بَعْدُ وقاتلَ ، ويُقَدِّمُونَ المهاجرينَ على الأنصارِ .

ويُؤمنونَ بأنَّ اللهَ قالَ لأهلِ بَدْرٍ ـ وكانوا ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشرَ ـ : «اعمَلُوا ما شِئتُم ، فقد غفرتُ لكم »[2] .

وبأنَّه لا يدخلُ النَّارَ أحدٌ بايَعَ تحتَ الشجرةِ؛ كما أخبرَ به النَّبيُّ ﷺ ، بل لقد رَضِيَ اللهُ عنهم ورَضُوا عنه ، وكانوا أكثرَ مِنْ ألفٍ وأربعمائةٍ .

ويَشهدُون بالجنَّةِ لِمَنْ شَهِـدَ لَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ كالعَشَرةِ وثابتِ بن قيسِ بن شَمَّاسٍ ، وغيرِهم مِنَ الصَّحَابةِ .

ويُقِرُّونَ بما تواترَ به النَّقلُ عَنْ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بن أبي طَالبٍ رضي الله عنه

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) .

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٧) ، ومسلم (٢٤٩٤) .

وغيرِه مِنْ أنَّ خيرَ هذه الأمَّةِ بعدَ نبيِّها أبوبكرٍ ، ثم عُمرُ ، ويثلِّثونَ بعثمانَ ، ويربِّعُونَ بعليٍّ ـ رضي الله عنهم ـ كما دلَّت عليه الآثارُ ، وكما أجمعَ الصَّحابةُ على تقديمِ عثمانَ في البَيعَةِ .

مع أنَّ بعضَ أهلِ السُّنَّةِ كانوا قَدِ اختلفُوا في عثمانَ وعليٍّ ـ رضي الله عنهما ـ بعدَ اتِّفاقِهم على تقديمِ أبي بكرٍ وعمرَ أيُّهما أفضلُ؟

فقَدَّمَ قومٌ عثمانَ وسكتُوا ، أو ربَّعُوا بعليٍّ ، وقَدَّمَ قومٌ عليًّا ، وقومٌ توقَّفُوا ، لكن استَقَرَّ أمرُ أهلِ السنةِ على تقديمِ عثمانَ ، ثمَّ علي .

وإنْ كانتْ هذه المسألةُ ـ مسألةُ عثمانَ وعليٍّ ـ ليست مِنَ الأصولِ التي يُضَلَّلُ المخالِفُ فيها عندَ جمهورِ أهلِ السنةِ ، لَكِنِ التي يُضَلَّلُ فيها مسألَةُ الخلافَةِ ، وذلك أنَّهُم يُؤمنونَ أنَّ الخليفةَ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ: أبوبكرٍ ، وعمرُ ، ثمَّ عثمانُ ، ثم عليٌّ .

ومَنْ طَعنَ في خلافةِ أحدٍ مِنْ هؤلاء؛ فهو أضَلُّ مِنْ حِمَارِ أهْلِهِ .

ويُحبُّونَ آلَ بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ ويَتَوَلَّوْنَهُم ، ويحفظُونَ فيهم وصيةَ رسُولِ اللهِ ﷺ، حيثُ قال يَومَ غَدِيرِ خُمٍّ : «أذكِّرُكُم اللهَ في أهْلِ بيتِي»[1] .

وقال أيضاً للعبَّاسِ عَمِّهُ ـ وقد اشتَكَى إليه أنَّ بعضَ قريشٍ يَجفُو بني هَاشِمٍ ـ فقال: «والَّذي نفسِي بيدِهِ؛ لا يُؤمِنُونَ حتَّى يُحِبُّوكُم؛ للهِ ولِقَرابَتِي»[2] .

وقال : «إنَّ اللهَ اصْطَفَى بني إسْماعيلَ ، واصْطَفى مِنْ بني إسماعيلَ

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨) .

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٧٥٨) وقال : حسن صحيح ، والإمام أحمد في المسند (٤/ ١٦٥) (١٧٧٢، ١٧٧٣- شاكر) وصحح إسناده أحمد شاكر ، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٧٥٦) .

كِنَانَةَ ، واصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشاً ، واصطَفَى مِنْ قُرَيشٍ بني هاشمٍ ، واصطفاني مِنْ بني هاشمٍ »[1] .

ويَتَوَلَّوْنَ أزواجَ رسولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ المؤمنينَ ، ويُؤمِنُون بأنَّهنَّ أزواجُه في الآخرةِ خُصوصاً خَديجةَ ـ رضي الله عنها ـ أمُّ أكثرِ أولادِهِ ، وأوَّلُ مَنْ آمَنَ به وعاضَدَه على أمْرِهِ ، وكان لَهَا منهُ المنزلَةُ العَاليَةُ .

والصِّدِّيقَةُ بنتُ الصِّدِّيقِ ـ رضي الله عنها ـ التي قال فيها النبي ﷺ : «فَضْلُ عائشةَ علَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّريدِ على سائرِ الطَّعَامِ »[2] .

ويَتَبرَّؤُونَ من طريقةِ الروافضِ الذينَ يُبغِضُونَ الصَّحابة ويَسُبُّونهم ، وطريقةِ النَّواصِبِ الذينَ يُؤذونَ أهلَ البيتِ بقولٍ أو عَملٍ .

ويُمْسِكُونَ عمَّا شَجَرَ بينَ الصَّحابَةِ ، ويقولونَ : إنَّ هذه الآثارَ المرويَّةَ في مساوِيهم منها ما هُو كَذِبٌ ، ومنها ما قد زِيدَ فيه ونُقِّصَ وغُـيِّرَ عن وجْهِهِ ، والصَّحيحُ منه هم فيه مَعْذورون : إمَّا مُجْتهِدونَ مُصِيبُوَن ، وإمَّا مجتَهِدُونَ مُخطِؤون .

وهُمْ مع ذلك لا يَعْتَقِدُونَ أنَّ كلَّ واحدٍ مِنْ الصَّحابةِ مَعْصومٌ عَنْ كبائرِ الإثمِ وصغَائِره ، بَلْ يجوزُ عليهِمُ الذنوبُ في الجملةِ ، ولَهُم مِنَ السَّوابقِ والفَضَائلِ ما يُوجبُ مَغْفرةَ ما يَصدُرُ مِنْهُم ـ إنْ صَدَر ـ حتى إنَّهم يُغْفَر لَهُم مِنَ السَّيِّئاتِ ما لا يُغْفَر لِمَنْ بَعْدَهم؛ لأنَّ لَهُم مِنَ الحَسَنَاتِ التي تمحُو السَّيِّئاتِ ما ليس لَمنْ بعدَهم .

وقد ثبتَ بقولِ رسولِ اللهِ ﷺ أنَّهم : « خيرُ القُرون »[3] ، « وأنَّ المُدَّ

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦) .

(٢) رواه البخاري (٣٧٧٠) ، ومسلم (٢٤٤٦) .

(٣) رواه البخاري (٣٦٥١) ، ومسلم (٢٥٣) .

مِنْ أحَدِهِم إذا تصَدَّقَ به كان أفضلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذهَباً مِمَّنْ بعدَهم»[١] .

ثمَّ إذا كان قد صَدَرَ مِنْ أحَدِهم ذنبٌ؛ فيكون قد تابَ منه ، أوْ أتَى بحسناتٍ تمحُوه ، أو غُفِرَ له ؛ بفضلِ سابقتِه ، أو بشفاعةِ محمَّدٍ ﷺ الذي هُم أحقُّ النَّاسِ بشفاعتِه ، أو ابتلِيَ ببلاءٍ في الدُّنيا كُفِّرَ به عنه .

فإذا كان هذا في الذنوبِ المُحقَّقَةِ؛ فكيف الأمورُ التي كانوا فيها مجتهدينَ : إنْ أصابُوا؛ فلَهُم أجرانِ ، وإنْ أخطَؤوا؛ فلَهُم أجرٌ واحدٌ ، والخطأُ مغْفُورٌ .

ثمَّ إنَّ القَدْرَ الذي يُنكَرُ مِنْ فِعْلِ بعضِهم قليلٌ ، نزْرٌ مغفورٌ في جنبِ فضائلِ القومِ ومحاسِنِهم؛ مِنَ الإيمانِ باللهِ ورسولِه ، والجهادِ في سبيلِه ، والهجرةِ ، والنُّصْرَةِ ، والعلمِ النافعِ ، والعَمَلِ الصالِحِ .

ومَنْ نظَرَ في سِيرَةِ القومِ بعِلْمٍ وبَصيرةٍ ، ومَا مَنَّ اللهُ عليهم به مِنَ الفضائلِ؛ عَلِمَ يَقِيناً أنَّهم خَيرُ الخَلْقِ بعدَ الأنبياءِ ، لا كان ولا يكونُ مثلُهم ، وأنَّهم الصَّفْوةُ من قُرونِ هذه الأُمَّةِ التي هي خَيْرُ الأُمَمِ وأكرَمُها على اللهِ .

ومِنْ أُصُولِ أهلِ السُّنَّةِ : التَّصديقُ بكرَامَـاتِ الأولِيَاءِ ، وما يُجْرِي اللهُ على أيديهم مِنْ خَوارقِ العاداتِ ، في أنواعِ العُلومِ والمكاشفاتِ ، وأنواعِ القُدرةِ والتَّأثيراتِ ، كالمأثورِ عن سالفِ الأُمَمِ في سورةِ الكهفِ وغيرِها ، وعَنْ صَدْرِ هذه الأُمَّةِ مِنَ الصَّحابَةِ والتَّابعين وسائرِ فِرَقِ الأُمَّةِ، وهي موجودةٌ فيها إلى يومِ القيامةِ .

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) .

فصل

ثمَّ مِنْ طريقةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ اتِّباعُ آثارِ رسولِ اللهِ ﷺ باطناً وظاهراً ، واتِّباعُ سَبيلِ السَّابقين الأوَّلينَ مِنَ المهاجرين والأنصار ، واتِّباعُ وصيةِ رسولِ اللهِ ﷺ حيث قال : «عَلَيْكُم بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشدينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعدي؛ تَمَسَّكُوا بها ، وعَضُّوا علَيها بالنَّواجذِ ، وإيَّاكُم ومُحدَثاتِ الأمُورِ؛ فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[1] .

ويعلَمُونَ أنَّ أصْدَقَ الكلامِ كلامُ اللهِ ، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمد ﷺ ، ويُؤثِرُونَ كلامَ اللهِ على غيرِه مِنْ كلامِ أصنافِ النَّاسِ ، ويُقدِّمُون هَدْيَ محمدٍ ﷺ على هَدْيِ كُلِّ أحَدٍ ؛ ولهذا سُمُّوا أهلَ الكتابِ والسُّنَّةِ ، وسُمُّوا أهْلَ الجماعةِ؛ لأنَّ الجماعةَ هي الاجتماعُ ، وضِدُّها الفُرقةُ ، وإنْ كان لفظُ الجماعةِ قد صارَ اسماً لنفسِ القومِ المجتمعينَ .

والإجماعُ هو الأصلُ الثالثُ الذي يُعْتَمَدُ عليه في العِلمِ والدِّينِ .

وهُم يَزِنُونَ بهذه الأصُولِ الثلاثةِ جميعَ ما عليه الناسُ مِنْ أقوالٍ وأعمالٍ[2] باطنةٍ أو ظاهرةٍ مِمَّا لَهُ تعلُّقٌ بالدِّينِ .

والإجماعُ الذي ينضَبطُ هو ما كان عليه السَّلَفُ الصَّالحُ ، إذ بعدَهم كثُرَ الاختِلافُ وانتَشرَ في الأمة .

فصل

ثم هُمْ مع هذه الأصولِ يأمُرونَ بالمعروفِ ، ويَنْهَوْنَ عنِ المنكَرِ؛ عَلَى ما تُوجِبُهُ الشَّريعةُ .

---

(١) رواه أبوداود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وصححه الألباني .

(٢) في المخطوط : من أعمال وأفعال ، والصواب ما أثبته .

ويَرَوْنَ إقامةَ الحجِّ والجهادِ والجُمَعِ والأعيادِ مَعَ الأمراءِ أبراراً كانوا أو فُجّاراً، ويُحافظِونَ على الجماعَاتِ.

ويَدِينُونَ بالنَّصيحةِ للأُمَّةِ، ويعتقدِونَ معنى قولِهِ ﷺ: «المؤْمِنُ للمُؤْمِنِ كالبُنيانِ المرصُوصِ، يَشُدُّ بعضُه بعضاً»[1] وشَبَّكَ بينَ أصابعَه، وقوله ﷺ: «مَثَلُ المؤْمنينَ في تَوَادِّهم وتراحُمِهِمْ وتعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجسدِ إذا اشتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائرُ الجسَدِ بالحُمَّى والسَّهَرِ»[2].

ويأمُرونَ بالصَّبرِ عندَ البلاءِ، والشُّكرِ عندَ الرَّخَاءِ، والرِّضَا بـمُرِّ القَضَاءِ.

ويَدْعُونَ إلى مكارمِ الأخلاقِ، ومَحَاسِنِ الأعمالِ، ويعتقدونَ معنى قولِـه ﷺ: «أكْمَلُ المؤمنينَ إيماناً أحْسَنُهُم خُلُقاً»[3].

ويَندُبُونَ إلى أنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وتُعطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وتعفُوَ عمَّن ظَلَمكَ، ويأمُرونَ ببرِّ الوَالدَينِ، وصِلَةِ الأرحَامِ، وحُسْنِ الجِوارِ، والإحسانِ إلى اليَتَامَى والمساكينِ وابنِ السَّبيلِ، والرِّفْقِ بالمملوكِ، وينهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ، والخُيَلاءِ، والبَغْيِ، والاستطالةِ على الخَلْقِ بحَقٍّ أوْ بغَيرِ حَقٍّ، ويأمُرونَ بمعالي الأخلاقِ، وينهَوْنَ عَن سَفْسَافِهَا.

وكلُّ ما يقولونه أو يفعلُونه مِنْ هذا وغيرِه؛ فإنَّما هم فيه متَّبعُونَ للكتابِ والسُّنَّةِ، وطريقتُهم هي دينُ الإسلامِ الذي بعثَ اللهُ به محمداً ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٤٨١)، (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٣) رواه أبوداود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٤١).

لكن لَمَّا أخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ أُمَّتَه ستفترِقُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً ، كُلُّها في النَّارِ إلا واحدةً ، وهي الجماعةُ ، وفي حديثٍ عنه أنَّه قال : «هُم مَنْ كان على مِثلِ ما أنا عليه اليومَ وأصحابي»[1] ؛ صارَ المتمسِّكُون بالإسلامِ المحضِ الخالصِ عَنِ الشَّوْبِ هم أهلَ السُّنَّةِ والجماعةِ .

وفيهم الصِّدِّيقُونَ ، والشُّهداءُ ، والصَّالحونَ ، ومنهم أعلامُ الهُدَى ، ومصابيحُ الدُّجَى ، أُولُو المناقبِ المأثورةِ ، والفضائلِ المذكورةِ ، وفيهمُ الأبدالُ ، وفيهمُ أئمةُ الدِّينِ الذين أجمع المسلمونَ على هدايتِهم ، وهمُ الطَّائفةُ المنصورةُ ، الذينَ قال فيهمُ النَّبيُّ ﷺ: « لا تَزَالُ طائفةٌ مِنْ أُمَّتي على الحَقِّ منصورةٌ ، لا يَضُرُّهُم مَنْ خالَفَهُم ، ولا مَنْ خَذَلَهُم ، حتَّى تقومَ السَّاعَةُ» [2] .

نسألُ اللهَ أنْ يَجعَلَنا منهم ، وألاَّ يَزيغَ قُلُوبَنا بعدَ إذ هَدانا ، وأنْ يَهَبَ لَنا مِنْ لَدُنْه رَحْمَةً إنَّه هو الوهَّابُ. واللهُ أعلم .

[وصَلَّى اللهُ على مُحمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبه وسَلَّمَ تسليماً كثيراً][3] .

قولـه : « وفيهم الأبدال » أي : العلماء الزهَّاد . قال في « النهاية » : في حديث علي رضي الله عنه : « الأبدال بالشام » هم الأولياء والعُبَّاد ، والواحد : بِدْل وبَدَل ، سُمُّوا بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم أُبدل بآخر[4] .

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١) ، وحسنه الألباني .

(٢) رواه البخاري (٣٦٤٠، ٣٦٤١) ، ومسلم (١٩٢٠) .

(٣) ليست في المخطوطة وهي في النسخ المطبوعة .

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/ ١٠٧) دار الكتب العلمية .

. . . .

وقال في «القاموس» : والأبدالُ : قومٌ بهم يُقيمُ اللهُ عز وجل الأرض ، وهم سبعون ، أربعون بالشام ، وثلاثون بغيرها ، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس[١] .

وقال عز الدين بن عبدالسلام رحمه الله : أمَّا الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : «إن فيهم ـ يعني أهل الشام ـ الأبدال الأربعين رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً »[٢] ، وهذا الجنس ونحوه من علم الدين قد التبس عند أكثر المتأخرين حقه بباطله ـ ولابد أن يقيم الله فيهم من تقوم به الحجة خلفاً عن الرسل ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فيحقُّ الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون ـ ، وليس من شرط أولياء الله أهل الإيمان والتقوى ومن يدخل فيهم من السابقين المقرَّبين لزوم مكان واحد في جميع الأزمنة ولا تعيين العدد ـ إلى أن قال ـ : فأما الحديث المرفوع فالأشبه أنه ليس من كلام النبي ﷺ ، فإن الإيمان كان بالحجاز واليمن قبل فتوح الشام ، وكانت الشام والعراق دار كفر ، ثم لما كان في خلافه علي رضي الله عنه قد ثبت عنه

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص٩٦٥) ، باب اللام ، فصل الباء ، ط. مؤسسة الرسالة .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ١٧١ – شاكر) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : هو حديث منقطع غير ثابت . .

* **فائدة** : قال ابن القيم رحمه الله في « المنار المنيف » (ص١٣٦) : « ومن ذلك ـ يعني الأمثلة على الأحاديث الموضوعة ـ أحاديث الأبدال والأقطاب، والأغواث، والنقباء ، النجباء، والأوتاد كلها باطلة على رسول الله ﷺ » .

. . . .

عليه السلام أنه قال : « تمرق مارقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق»[١] فكان عليٌّ وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام ، فكيف يعتقد مع هذا أن الأبدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام ؟ هذا باطل قطعاً ، وإن كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة ، فقد جعل الله لكل شيء قدراً .

والكلام يجب أن يكون بالعلم والقسط ، فمن تكلم في الدين بغير علم دخل في قولـه تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ، ومن يتكلم بقسط وعدل دخل في قولـه تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ وقولـه تعالى : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ .

والذين تكلموا باسم البدل فسَّروه بمعانٍ منها : أنهم أبدال الأنبياء ، ومنها أنه كلما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً ، ومنها أنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات ، وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر و لا بأهل بقعة من الأرض .

فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسر بمعانٍ باطلة مثل قولهم : إن الأبدال الأربعين رجال الغيب بجبل لبنان. انتهى ملخصاً[٢] .

---

(١) رواه مسلم برقم (١٠٦٥) .

(٢) هذا سبق قلم من الشارح رحمه الله في نسبة هذا الكلام إلى العز بن عبدالسلام ، فهو من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر : مجموع الفتاوى (١١/ ١٦٧، ٤٤١-٤٤٢) ومنهاج السنة (١/ ٩٤) ، والفرقان (ص٧٢-٧٤) ، والروضة الندية شرح العقيدة الواسطية للشيخ زيد الفياض رحمه الله (ص٥٥٧-٥٥٨) . .

. . . .

والمقصود أن لفظة الأبدال يراد بها حق وباطل : فمراد شيخ الإسلام وغيره من العلماء : أنهم العلماء العاملون الداعون إلى دين الله المتبعون لسنة رسول الله ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ، وأما الجهال وأهل الغلو فمرادهم أن أهل الأرض يطلبون منهم أن يقضوا حوائجهم ، ويكشفوا ضُرَّهم ، ويشفعوا لهم عند ربهم وهذا هو دين المشركين الذي أُنزلت الكتب وأُرسلت الرسلُ للنهي عنه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ ، وقال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧ ﴾ .

[انتهى الكتاب] .

* * *

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم .
٢. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق مجموعة من المحققين .
٣. الأسماء والصفات ، للبيهقي ، مكتبة السوادي .
٤. الأعلام لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين .
٥. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ، للمباركفوري ، اعتنى به رائد بن صبري ابن أبي علفة ، بيت الأفكار ، في مجلدين .
٦. تفسير ابن كثير ، تحقيق سامي السلامة ، دار طيبة .
٧. تفسير البغوي ، دار ابن حزم مجلد .
٨. تفسير الطبري ، تحقيق الدكتور عبدالله التركي ، دار هجر .
٩. جامع البيان في تفسير القرآن، للإيجي الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى .
١٠. الجامع للمتون العلمية ، جمع عبدالله الشمراني ، دار الوطن بالرياض .
١١. الحلية ، لأبي نعيم الأصبهاني ، نشر دار الكتاب العربي .
١٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، تحقيق الدكتور عبدالله التركي . دار هجر .
١٣. الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ، للشيخ زيد الفياض .
١٤. السلسلة الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف بالرياض.
١٥. السلسلة الضعيفة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض .
١٦. السنة ، لابن أبي عاصم ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت .
١٧. سنن أبي داود ، بيت الأفكار ، مجلد واحد .
١٨. سنن ابن ماجه ، ط. محمد فؤاد عبدالباقي .
١٩. سنن الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب العلمية .
٢٠. سنن النسائي ، بيت الأفكار ، مجلد واحد .
٢١. شرح السنة ، للبغوي ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط ، المكتب الإسلامي بيروت .

٢٢. شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز ، تحقيق أحمد شاكر دار الإفتاء .
٢٣. شرح الواسطية ، للشيخ صالح الفوزان ، مكتبة المعارف الرياض .
٢٤. شرح الواسطية ، لمحمد خليل هراس . تحقيق علوي السقاف ، دار الهجرة .
٢٥. شرح الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع الشيخ خالد المصلح ، دار ابن الجوزي .
٢٦. شعب الإيمان ، للبيهقي ، تحقيق زغلول ، دار الكتب العلمية .
٢٧. صحيح البخاري ، دار السلام ، مجلد واحد .
٢٨. صحيح الجامع ، للشيخ الألباني ، المكتب الإسلامي
٢٩. صحيح سنن ابن ماجه ، للألباني ، مكتبة المعارف .
٣٠. عرش الرحمن وما ورد فيه من الآيات والأحاديث ، لابن تيمية ، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، طبع عام ١٤١٩ .
٣١. العظمة لأبي الشيخ الأصفهاني ، تحقيق رضا الله بن محمد المباركفوري ، دار العاصمة .
٣٢. العلامة المحقق والسلفي المدقق ترجمة لحياة الشيخ فيصل آل مبارك ، لفيصل البديوي ، دار البخاري .
٣٣. العلل المتناهية ، لابن الجوزي ، دار الكتب العلمية .
٣٤. علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبدالله البسام ، دار العاصمة .
٣٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، دار السلام والطبعة السلفية .
٣٦. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الدكتور عبدالرحمن بن عبدالكريم اليحيى ، دار الفضيلة .
٣٧. القاموس المحيط مجلد ، طبع مؤسسة الرسالة .
٣٨. القصد السديد على كتاب التوحيد ، للشيخ فيصل آل مبارك ، تحقيق عبدالإله ابن عثمان الشايع ، دار الصميعي ، ١٤٢٦ .
٣٩. كتب أثنى عليها العلماء ، المجموعة الأولى ، لعبدالإله بن عثمان الشايع ، دار الصميعي .
٤٠. المتدارك من تاريخ الشيخ فيصل المبارك ، لمحمد بن حسن آل مبارك .

٤١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب الشيخين عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد .
٤٢. المحرر الوجيز ، لابن عطية ، دار ابن حزم ، مجلد واحد .
٤٣. المستدرك على الصحيحين للحاكم، الطبعة الهندية، تصوير دار المعرفة ببيروت.
٤٤. مسند أبي يعلى ، دار المأمون للتراث .
٤٥. مسند الإمام أحمد ، الميمنية ، تصوير مؤسسة قرطبة .
٤٦. مسند الإمام أحمد ، تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف بمصر .
٤٧. مسند الإمام أحمد ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق مجموعة من الباحثين .
٤٨. مشاهير علماء نجد ، للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ .
٤٩. معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية ، لعلي جواد الطاهر .
٥٠. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، لأبي العباس لقرطبي، دار ابن كثير .
٥١. المنار المنيف ، لابن القيم ، تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية .
٥٢. منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
٥٣. المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج ، للإمام النووي ، بيت الأفكار ، مجلد واحد .
٥٤. نصيحة جامعة ووصية نافعة ، للشيخ فيصل المبارك ، تحقيق د. عبدالعزيز الزير.
٥٥. النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، دار الكتب العلمية .

* * *

فهرس الموضوعات

* * *

صدر للمحقق

١- إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد للشيخ حمد بن عتيق .(تحقيق) دار أطلس الخضراء.

٢- آراء ابن القيم حول الإعاقة . دار الصميعي .

٣- آراء ابن تيمية حول الإعاقة . دار الصميعي .

٤- آراء ابن قدامة حول الإعاقة . دار الصميعي .

٥- التعليقات السنية على العقيدة الواسطية للشيخ فيصل المبارك (تحقيق) دار الصميعي .

٦- الدر النضيد على أبواب التوحيد للشيخ سليمان بن حمدان (تحقيق) . دار الصميعي .

٧- عناية العلماء بكتاب التوحيد . دار طيبة .

٨- فتاوى عن الكتب . دار الصميعي .

٩- القصد السديد على كتاب التوحيد للشيخ فيصل المبارك (تحقيق) دار الصميعي .

١٠- كتب أثنى عليها العلماء – قسم العقيدة – المجموعة الأولى .دار الصميعي .

١١- كشف النقاب عن مؤلفات الأصحاب للشيخ سليمان بن حمدان (تحقيق) دار الصمبعي.

١٢- اللؤلؤ الثمين من فتاوى المعوقين .مجلدان . دار الصميعي .

١٣- مختصر كتاب نكت الهميان في نكت العميان للصفدي . دار الصميعي .

١٤- ملخص منهاج السنة للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (تحقيق) مكتبة الرشد .